ملف العدد

AL-MUJTAMA'A
المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2148) - السنة (51) صفر 1442هـ / 1 اكتوبر 2020م

فرنسا..
وحلم الهيمنة على المنطقة العربية مجدداً

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في ذمة الله

سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح أميراً للكويت

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

www.mugtama.com

www.mugtama.com

«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390 هـ - 17 مارس 1970م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوئه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياه».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة: القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

- لمراكز إسلامية تلح بطلبها
- لمدارس وجامعات إسلامية
- لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2148) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

ملف العدد

فرنسا.. وحلم الهيمنة على المنطقة العربية مجدداً

- وداعاً سمو الأمير 6
- قادة الدول ومختلف الرموز والمؤسسات عن رحيل الشيخ صباح الأحمد:
- العالم خسر حاكماً مخلصاً وقائداً إنسانياً من طراز فريد 10
- الأمير نواف الأحمد.. نصف قرن من العطاء 12
- الكويت تودّع أحد أبرز علمائها ودعاتها الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق 14
- الدعوة لوحدة الأديان.. في ميزان الشرع والإيمان..... 62

مقالات

الإمام الغزالي	د. يوسف السند 46
حرب المناعة	د. أحمد عيسى 48
الصورة الذهنية للنجاح	أ.د. زيد بن محمد الرماني 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

صمود الكويت في وجه «التطبيع»

منذ بداية الاحتلال الصهيوني لدولة فلسطين حسمت دولة الكويت موقفها من هذا الكيان، فعلى الرغم من مرور عشرات السنوات على الإعلان عن قيام دولة الاحتلال، فإن الكويت لم تغيّر موقفها من هذا الكيان الغاشم، وظلت على موقفها الراسخ بعدم إقامة أي علاقات معه، بل ودعم الشعب الفلسطيني مهما كانت الظروف والتحديات.

تلك العقيدة التي انتهجتها الكويت؛ قيادة وحكومة وشعباً، جعلت منها محط أنظار العالم.

وقد حاولت حكومات الاحتلال المتعاقبة إقامة علاقات مع دولة الكويت، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً، وهذا يؤكد نجاعة السياسات الكويتية ونجاحها في حماية الأمن القومي الكويتي.

وظلت المواقف المتعاقبة للقيادة الكويتية في مساندة القضية الفلسطينية من خلال سياسات عدة تبناها مجلس الأمة في خطاباته، وأكدتها الدبلوماسية الكويتية من خلال البيانات والمؤتمرات التي تشارك فيها على المستويين الإقليمي والدولي، إضافة للتضحيات والشهداء الكويتيين في حروب العرب مع الاحتلال الصهيوني منذ عام 1948م وحتى انتصار أكتوبر 1973م الذي تمر ذكراه هذا الشهر.

وفي ظل سياسة الرفض الثابتة من القيادة الكويتية تجاه الاحتلال الصهيوني، اصطفت دولة الكويت إلى جانب الشقيقة فلسطين، وخاضت معها الكثير من المعارك الدبلوماسية في الهيئات والمنظمات المختلفة، لتبرهن في مواقف عدة على صدق تحركاتها، وتنامي دورها في مواجهة سياسات العداء التي ينتهجها الكيان الصهيوني، ومن خلال تواجد الكويت في الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، استطاعت أن تقدّم خدمات كثيرة للقضية الفلسطينية من خلال تضييق الخناق على «تل أبيب»، ومواجهة أكاذيبها في ميادين العمل السياسي والهيئات الدولية، فضلاً عن أنها أدت دوراً كبيراً في دعم إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، وانضمامها إلى جامعة الدول العربية.

المسؤولية التي انتهجتها الكويت تجاه القضية الفلسطينية لم تقتصر على المجال السياسي ودعم فلسطين في المحافل الإقليمية والدولية فقط، بل إن القيادة الكويتية أولت اهتماماً خاصاً بالشعب الفلسطيني، وقدمت له الكثير من الدعم المالي من أجل رفع مستوى معيشة أفراده، فضلاً عن تقديم المساعدات إلى اللاجئين ومنظمات الإغاثة التي تعمل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من خلال المؤسسات الكويتية الحكومية والشعبية أيضاً.

القيادة الكويتية التي دعمت فلسطين؛ سياسياً وإنسانياً، كانت ولا تزال تنادي بضرورة حل قضية الشعب الفلسطيني، وتؤكد حقه في إقامة دولته المستقلة، مطالبة المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته الكاملة تجاه مساعدة أبناء فلسطين على إقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني، مع التصدي لسياسات الكيان العدوانية.

والتطورات المتلاحقة في منطقة الشرق الأوسط تؤكد أن الموقف الكويتي الرافض للاحتلال هو الجدار الأفضل لحماية الأمن القومي الكويتي، وأصبح وجوباً على باقي الدول العربية وخاصة الخليجية التي لم تصبها عدوى التطبيع وسمومه أن تتكاتف فيما بينها من أجل حماية أمنها القومي، خاصة وأن اختراق المزيد من الدول العربية سوف يضعف من قدرات الدول الباقية في مقاومة الاحتلال.■

آية العدد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾

(الممتحنة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وداعاً سمو الأمير

بعد رحلة حافلة بالإنجاز الدبلوماسي والنشاط السياسي والعطاء الخيري والإنساني، رحل سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله تعالى، مخلفاً تبعة سياسية كبيرة ينوء بحملها أولو الشدائد والعزائم؛ حيث كان يبحر بسفينة الكويت في بحر متلاطم من الأمواج والأنواء التي تحتاج لقائد ماهر ذي دربة وبصيرة للنجاة منها.

ففي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من سبتمبر 2020م، أعلن الديوان الأميري وفاة المغفور له بإذن الله سمو الشيخ صباح الأحمد، في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد رحلة علاجية استمرت أكثر من شهرين، عن عمر يناهز 91 عاماً، قضى معظمها في دروب السياسة ومسالك الدبلوماسية المحلية والعالمية، قضى منها نحو 14 عاماً أميراً لدولة الكويت، ترك خلالها بصمته الواضحة في مختلف الملفات المحلية والدولية للكويت؛ حتى استحق عن جدارة أن يكون عميداً للدبلوماسية وقائداً للعمل الإنساني، اختتمها قبيل وفاته بمنح الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» له وسام الاستحقاق العسكري برتبة قائد أعلى، خلال مراسم في البيت الأبيض؛ اعترافاً بالجهود العظيمة والدؤوبة والدور الكبير الذي قاده سموه في المنطقة والعالم، وتتويجاً لعلاقات الشراكة التاريخية والمتميزة بين الكويت والولايات المتحدة.

وكان سمو الأمير الراحل قد غادر البلاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في الثالث والعشرين من يوليو الماضي، لاستكمال رحلة العلاج بعد إجراء عملية له في الكويت.

وقبل سفره بأيام في 18 يوليو الماضي، قرر سمو الأمير الراحل أن يتولى ولي عهده الشيخ نواف الأحمد بعض الاختصاصات الدستورية لأمير البلاد بشكل مؤقت، بعد دخول سمو الأمير الراحل المستشفى لإجراء فحوص طبية.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من سبتمبر، فوجئ الكويتيون بقطع التلفزيون والمحطات الفضائية والإذاعية البث المعتاد ليذيع آيات من القرآن الكريم، قبل أن يعلن وزير الديوان الأميري الشيخ علي الجراح الصباح نبأ وفاة سموه الذي قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر)، ببالغ الحزن والأسى، ينعى الديوان الأميري إلى الشعب الكويتي والأمتين العربية والإسلامية وشعوب العالم الصديقة وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت، الذي انتقل إلى جوار ربه.

داعين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

نعي وحداد

وفور إعلان وفاة سموه، توالت برقيات وبيانات العزاء والنعي من قادة الدول العربية والإسلامية ومن مختلف أنحاء العالم، فضلاً على السياسيين والجمعيات والهيئات والمؤسسات في الكويت وكافة أبناء الوطن الذين أعربوا عن خالص العزاء وصادق المواساة لآل الصباح الكرام، وللأمتين العربية والإسلامية.

هذا، وقد اجتمع مجلس الوزراء الكويتي، مساء يوم إعلان الوفاة، لبحث ترتيبات مرحلة ما بعد الوفاة؛ حيث نادى مجلس الوزراء -في البيان الذي ألقاه نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء أنس خالد الصالح، الذي أذاعه «تلفزيون الكويت»- بولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح أميراً للبلاد، عملاً بأحكام الدستور؛ حيث تنص المادة الرابعة من قانون توارث الإمارة في الكويت على أنه إذا «خلا منصب أمير البلاد نودي بولي العهد أميراً، فإذا خلا منصب الإمارة قبل تعيين ولي للعهد مارس مجلس الوزراء اختصاصات رئيس الدولة إلى حين اختيار الأمير».

كما أعلن مجلس الوزراء الحداد الرسمي بالبلاد على سمو الأمير لمدة 40 يوماً، مع إغلاق الدوائر الرسمية لمدة 3 أيام.

وعلى إثر هذا، دعا رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم لعقد جلسة خاصة، يوم الأربعاء 30 سبتمبر؛ حيث أدى سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح اليمين الدستورية أميراً للكويت، وفقاً للمادة (60) من الدستور، وقد تعهد سموه بأن يسير على درب سلفه، وأن يحافظ على مصالح الوطن، وأن يرعى الدستور والقانون.

هذا، وقد توالت بيانات التهاني والتبريكات وخالص الدعوات لسمو الأمير الشيخ نواف بأن يكون خير خلف لخير سلف.

هذا، وتتقدم مجلة «المجتمع» باسم رئيس تحريرها والعاملين فيها بخالص العزاء في سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

كما تتقدم بأسمى آيات التهاني لسمو الأمير الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله، سائلين الله تعالى لسموه موفور الصحة والعافية، وأن يعينه على هذه التبعة التي هو أحق بها وأهلها، وأن يرزقه البطانة الصالحة الناصحة التي تعينه على العبور بسفينة الوطن إلى بر الأمان.■

سمو الأمير: وطننا يواجه تحديات خطيرة تحتاج توحيد الصفوف

أدى صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، اليمين الدستورية في الجلسة الخاصة التي عقدها مجلس الأمة، يوم الأربعاء 30 سبتمبر 2020م، لتأدية سموه القسم.

وقد ألقى سموه كلمة هذا نصها:

إنه قضاء الله وقدره، وإنه وحده سبحانه الذي لا يُحمد على مكروه سواه، نحمده تعالى ونشكره في المحنة والبلاء، كما نحمده في الفضل والرخاء.

فقد رحل عنا إلى دار الآخرة رمز شامخ من رموزنا الخالدين، قدَّم الكثير لوطنه وشعبه وأمته، ترك إرثاً غنياً زاخراً بالإنجازات والأعمال المشهودة؛ محلياً وعربياً وإسلامياً ودولياً، نستذكر بكل الاعتزاز والاهتمام توجيهاته السديدة ونصائحه الأبوية التي تعكس عشقه لكويتنا الغالية وأهل الكويت الكرام التي ستظل نبراساً هادياً لنا ونهجاً ثابتاً.

الإخوة رئيس وأعضاء المجلس المحترمون، تعرضت الكويت خلال تاريخها الطويل إلى تحديات جادة ومحن قاسية نجحنا بتجاوزها، متعاونين متكاتفين، وعبرنا بسفينة الكويت إلى بر الأمان.

ويواجه وطننا العزيز اليوم ظروفاً دقيقة وتحديات خطيرة لا سبيل لتجاوزها والنجاة من عواقبها إلا بوحدة الصف وتضافر جهودنا جميعاً، مخلصين العمل الجاد لخير ورفعة الكويت وأهلها الأوفياء.

وإذ نشير إلى هذه التحديات، فإننا نؤكد اعتزازنا بدستورنا ونهجنا الديمقراطي، ونفتخر بكويتنا دولة القانون والمؤسسات، وحرصنا على تجسيد روح الأسرة الواحدة التي عرف بها مجتمعنا الكويتي والتزامنا بثوابتنا المبدئية الراسخة.

وإنني إذ أتصدى لحمل المسؤولية الجسيمة بروح الأمل والطموح لأعاهد الله وأعاهد شعب الكويت وأعاهدكم أن أبذل غاية جهدي وكل ما في وسعي حفاظاً على رفعة الكويت وعزتها، وحماية لأمنها واستقرارها، وضمانة لكرامة ورفاه شعبها، متسلحاً بدعم ومساندة أهل الكويت المخلصين، سائلاً الله العون والسداد والتوفيق؛ «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير».■

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - البحرين
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E.- QATAR - BAHRAIN
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

الأمير الراحل صباح الأحمد..

محطات تاريخية ومواقف خالدة

فقدت الكويت، يوم الثلاثاء 29 سبتمبر الماضي، أميرها الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله تعالى، عن عمر ناهز 91 عاماً، وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يتلقى العلاج.

ونعى الديوان الأميري، في بيان، الأمير الراحل، وذكر أنه «ببالغ الحزن والأسى، ننعى إلى الشعب الكويتي والأمتين العربية والإسلامية وشعوب العالم الصديقة، وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت، الذي انتقل إلى جوار ربه».

الولادة والنشأة:

ولد سمو الأمير الراحل في محافظة الجهراء، في 16 يونيو 1929م، وهو أمير البلاد الخامس عشر، والابن الرابع لأمير دولة الكويت العاشر الشيخ أحمد الجابر الصباح، الذي توسم في نجله الفطنة والذكاء منذ صغر سنه؛ فأدخله المدرسة المباركية، ثم أوفده إلى بعض الدول للدراسة واكتساب الخبرات والمهارات التي ساعدته على ممارسة العمل بالشأن العام.

نهج حكيم:

قاد سمو الأمير، رحمه الله، مسيرة تنمية البلاد خلال الـ14 عاماً الماضية –التي تولى فيها إمارة البلاد– وخلد اسمها في المحافل الإقليمية والعربية والعالمية.

ومنذ أن تولى سموه دفة الحكم في البلاد، يوم 29 يناير 2006م، حرص على السير على النهج الحكيم الذي سار عليه قادة الكويت طوال العقود الماضية في أداء دور فاعل في مسيرة الأمن والاستقرار بالمنطقة، ودرء الخلافات بين دولها، وتحقيق السلام في مجتمعاتها.

وعلى الصعيد الداخلي، قاد سمو الأمير الراحل البلاد نحو التطور والتنمية والازدهار في مرحلة صعبة شهدت فيها المنطقة تحديات كبيرة، واهتم ببناء الإنسان باعتباره أثمن الموارد التي يملكها الوطن وعماد نهضته وتطوره ورخائه.

وحظي سمو الأمير الراحل حين تولى دفة الحكم باعتباره الحاكم الخامس عشر لدولة الكويت بتأييد شعبي ورسمي كبير، وتمت مبايعته بالإجماع من أعضاء السلطتين التنفيذية والتشريعية، ليصبح أول أمير منذ عام 1965م يؤدي اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة.

وكثيراً ما عرف سمو الأمير الراحل بانتهاج سياسة حكيمة حافظ من خلالها على مكانة متميزة للكويت في محيطها الخليجي والعربي والدولي، وشهد العالم بأسره نجاحاته الدبلوماسية في نصرة القضايا العادلة للشعوب، وحماية الدولة من أي تأثير يهدد كيانها، والوصول بها إلى بر الأمان، في ظل محيط مضطرب بالتهديدات.

مسيرة العطاء:

بدأت مسيرة العطاء لسمو الأمير الراحل في عام 1954م حينما عُين عضواً في اللجنة التنفيذية العليا التي عهد إليها آنذاك مهمة تنظيم مصالح الحكومة ودوائرها الرسمية.

عُرف بانتهاج سياسة حكيمة حافظت على مكانة متميزة للكويت في محيطها الخليجي والعربي والدولي

شهد العالم بأسره نجاحاته الدبلوماسية في نصرة القضايا العادلة للشعوب

وفي عام 1955م، تولى سموه، يرحمه الله، منصب رئيس دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل، فعمل على تنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب العمل، لا سيما في ضوء تدفق الهجرات الخارجية من الدول العربية والأجنبية للعمل في الكويت، واستحداث مراكز التدريب الفني والمهني للشباب ورعاية الطفولة والأمومة والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة وتشجيع الجمعيات النسائية والاهتمام بالرياضة وإنشاء الأندية الرياضية.

وأولى فقيد الكويت اهتماماً بالفنون، وعلى رأسها المسرح؛ فأنشأ أول مركز لرعاية الفنون الشعبية في الكويت عام 1956م، وفي عام 1957م أضيفت إلى مهام سموه رئاسة دائرة المطبوعات والنشر؛ إذ عمل على إصدار الجريدة الرسمية للكويت (الكويت اليوم)، وتم إنشاء مطبعة الحكومة لتلبية احتياجاتها من المطبوعات، ووقتها تم إصدار مجلة «العربي».

وبعد استقلال دولة الكويت عام 1961م، عُين سموه عضواً في المجلس التأسيسي الذي عهدت إليه مهمة تشكيل لجنة وضع دستور البلاد، ثم عُين في أول تشكيل وزاري عام 1962م وزيراً للإرشاد والأنباء.

وفي 28 يناير 1963م، وبعد إجراء أول انتخابات تشريعية لاختيار أعضاء مجلس الأمة، عُين وزيراً للخارجية لتبدأ مسيرة سموه مع العمل السياسي الخارجي والدبلوماسية التي برع فيها، فاستحق لقب «مهندس السياسة الخارجية الكويتية وعميد الدبلوماسيين في العالم» بعد أن قضى 40 عاماً على رأس تلك الوزارة رباناً لسفينتها في أصعب الظروف والمواقف السياسية التي شهدتها البلاد.

ويستذكر الكويتيون بكل فخر الدور الكبير للشيخ صباح الأحمد عندما كان وزيراً للخارجية حين رفع سموه علم الكويت فوق مبنى الأمم المتحدة بعد قبولها عضواً فيها، في 11 مايو 1963م.

محطات تاريخية:

سعى سموه منذ نحو 54 عاماً في لمِّ شمل الأشقاء وحل الخلافات عندما شارك في اللقاء الذي نظمته الأحزاب المتنافسة في اليمن مع ممثلي مصر والسعودية لوضع حد للحرب الأهلية هناك، التي استأنفت اجتماعاتها بالكويت، في أغسطس 1966م.

وعندما تدهورت العلاقة بين اليمن (الجنوبي والشمالي) وبدأت الصدامات بينهما على الحدود المشتركة، قام سموه بزيارة للدولتين، في أكتوبر 1972م، أثمرت توقيع اتفاقية سلام بينهما.

وقام فقيد الكويت، في عام 1980م، بوساطة ناجحة بين سلطنة عُمان وجمهورية اليمن الديمقراطية؛ نتج عنها توقيع اتفاقية خاصة بإعلان المبادئ، ثم وجَّه سموه الدعوة لوزيري الخارجية في الدولتين لزيارة الكويت عام 1984م، حيث اجتمع الطرفان على مائدة الحوار، وتوصلا إلى إعلان انتهاء الحرب الإعلامية بينهما، واحترام حسن الجوار وإقامة علاقات دبلوماسية.

واختط سمو الأمير الراحل منذ نحو خمسة عقود منهجاً واضحاً للسياسة الخارجية لدولة الكويت، استطاع من خلاله أن يتخطى بالكويت مراحل حرجة في تاريخها، من خلال انتهاج مبدأ التوازن في التعامل مع القضايا السياسية، ومن أبرزها الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت من عام 1980 حتى عام 1988م، وما نتج عنها من تداعيات أثرت على أمن الكويت واستقرارها داخلياً وخارجياً.

وبذل سموه طوال سنوات قيادته لوزارة الخارجية جهداً كبيراً في تعزيز وتنمية علاقات الكويت الخارجية مع مختلف دول العالم، وخصوصاً الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن.

وشهدت البلاد نتيجة ذلك استقراراً في سياستها الخارجية وثباتاً اتضحت ثماره في الثاني من أغسطس 1990م، عندما وقف العالم أجمع مناصراً للحق الكويتي في وجه العدوان العراقي الذي أثمر صدور قرار مجلس الأمن رقم (678) الذي أجاز استخدام كل الوسائل بما فيها العسكرية ضد العراق ما لم يسحب قواته من الكويت.

ونظراً إلى ما يتمتع به من فطنة وذكاء وقدرة فائقة على تحمل المسؤولية، فقد أسندت إلى سموه مناصب عدة إضافة إلى منصب وزير الخارجية؛ إذ عُين وزيراً للإعلام بالوكالة في الفترة من 2 فبراير 1971 وحتى 3 فبراير 1975م.

وفي 16 فبراير 1978م عُين نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وفي 4 مارس 1981م تسلم حقيبة الإعلام بالوكالة، إضافة إلى وزارة الخارجية حتى 9 فبراير 1982م.

دعم القضية الفلسطينية

طوال فترة حكم الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، سخَّر سموه الكثير لدعم القضية الفلسطينية، ورفضت الكويت مراراً وتكراراً التطبيع مع الكيان الصهيوني، وأكدت غير مرة أنها ستكون آخر من يطبِّع مع الكيان.

كما رفضت الكويت ما يعرف بـ «صفقة القرن»، وأي نتائج مترتبة عليها، مؤكدة أنها تقبل فقط بما يقبل به الشعب الفلسطيني.■

القيادة الكويتية طوال فترة حكم سموه رفضت مراراً وتكراراً التطبيع مع الكيان الصهيوني

بذل طوال سنوات قيادته لوزارة الخارجية جهداً كبيراً في تعزيز علاقات الكويت الخارجية

استطاع أن يتخطى بالكويت مراحل حرجة من خلال انتهاج مبدأ التوازن في التعامل مع القضايا السياسية

وفي 3 مارس 1985م عُين رحمه الله نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية حتى 18 أكتوبر 1992م، عندما تولى منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية.

وفي 13 يوليو 2003م صدر مرسوم أميري بتعيينه رئيساً لمجلس الوزراء، وكانت المرة الأولى في تاريخ الكويت التي يتم فيها الفصل بين منصبي ولاية العهد ورئاسة مجلس الوزراء.

ولم يقتصر نجاح سمو الأمير الراحل عند السياسة الخارجية فقط، بل استمر هذا العطاء والنجاح عند توليه قيادة دفة السياسة الداخلية للبلاد، فقد حرص منذ اللحظات الأولى لتوليه منصب رئاسة الوزراء على تبني رؤية شاملة وعميقة للتنمية في الكويت تشمل مختلف قطاعات الدولة وعلى رأسها القطاع الاقتصادي.

واستمر فقيد الكويت في مسيرة العطاء رئيساً للحكومة الكويتية حتى يناير عام 2006م، عندما اجتمع مجلس الوزراء واتخذ قراراً بالإجماع بتزكية سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أميراً للبلاد، وفقاً للمادة (3) من قانون توارث الإمارة الصادر عام 1964م.

وانطلاقاً من هذا القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء ومن مبايعة أسرة آل الصباح، عرض الأمر وفقاً للدستور على مجلس الأمة الذي عقد جلستين يوم الأحد 29 يناير 2006م، خصصت الأولى لمبايعة أعضاء مجلس الأمة لسمو الشيخ صباح الأحمد أميراً للبلاد، في حين خصصت الجلسة الثانية لتأدية سموه القسم الدستوري أمام المجلس بحضور جميع أعضاء مجلس الوزراء.

أوسمة رفيعة:

في عام 2014م كرمت الأمم المتحدة سموه في احتفالية رعاها «بان كي مون»، أمين عام الأمم المتحدة آنذاك، تقديراً لجهوده الإنسانية، وسماه «قائد العمل الإنساني».

وحصل سموه على أوسمة رفيعة عالمياً، أبرزها في مارس 2017م، بتقليده «وسام الدولة»، وهو أرفع وسام في تركيا.

كما منح الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» سموه «وسام الاستحقاق العسكري برتبة قائد أعلى» في مراسم أقيمت بالبيت الأبيض حيث مثل الشيخ ناصر صباح الأحمد سموه في مراسم تسلم الوسام.■

www.mugtama.com

قادة الدول ومختلف الرموز والمؤسسات عن رحيل الشيخ صباح الأحمد:

العالم خسر حاكماً مخلصاً وقائداً إنسانياً من طراز فريد

عقب إعلان خبر وفاة سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله تعالى، توالت بيانات التعازي والنعي مختلف أنحاء العالم، من الأمراء والرؤساء والقادة السياسيين، فضلاً على العلماء والدعاة ومختلف أبناء الوطن وهيئاته ومؤسساته.

والبداية من دول التعاون الخليجي التي أعلنت جميعها الحداد وتنكيس الأعلام لمدة 3 أيام لوفاة سمو الأمير؛ فقد نعى العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي عهده الأمير محمد بن سلمان، سموَ أمير البلاد الراحل؛ حيث قال بيان صادر عن الديوان الملكي: «الملك وولي العهد يقدمان خالص التعازي وصادق المواساة لعائلة آل صباح الكريمة، وللشعب الكويتي الشقيق، وللأمتين العربية والإسلامية، في وفاة الشيخ صباح الذي رحل بعد مسيرة حافلة بالإنجاز والعطاء وخدمة جليلة لبلده وللأمتين العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء».

كما نعى أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني الشيخَ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، وقال: إن الراحل «كان قائداً عظيماً وزعيماً فذاً، اتسم بالحكمة والاعتدال وبُعد النظر والرأي السديد، كرَّس حياته وجهده لخدمة وطنه وأمته، والدعوة إلى الحوار والتضامن ووحدة الصف العربي والدفاع عن قضايا أمته العادلة».

أما رئيس دولة الإمارات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، فقد نعى «ببالغ الحزن والأسى أخاه صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت الشقيقة، الذي وافته المنية».

وإلى سلطنة عُمان؛ حيث قطع «تلفزيون السلطنة» بثه الإذاعي والبرنامج المعتاد، وبدأ بإذاعة آيات من القرآن الكريم، ونعت سفارتها في الكويت سمو الأمير؛ حيث قالت في حسابها على «تويتر»: «تشاطر السفارةُ الكويتَ حكومة وشعباً الحزن والأسى في فقيدها وفقيد الإنسانية الكبير سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت».

وفي مملكة البحرين، نعى الديوان الملكي سمو الأمير الراحل، وأعلن الحداد الرسمي وتنكيس الأعلام لمدة ثلاثة أيام، وقال الديوان، في بيان: «مملكة البحرين التي آلمها هذا المصاب الجسيم لتعرب عن خالص تعازيها وصادق مواساتها إلى أسرة آل الصباح الكرام وحكومة وشعب الكويت».

أما رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، فقد نعى الأمير الراحل، وقال: «ساهم الراحل الكبير في تعزيز مسيرة العراق الجديد، الخارج من نير الدكتاتورية، مثلما وقف معه وهو يواجه الإرهاب وينتصر لأرضه ووجوده».

كما نعى ملك الأردن عبدالله الثاني سمو الأمير الراحل، وقال في تغريدة: «فقدنا اليوم أخاً كبيراً وزعيماً حكيماً مُحبّاً للأردن، سمو الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، كان قائداً استثنائياً وأميراً للإنسانية والأخلاق، كرَّس حياته لخدمة وطنه وأمته، ولم يتوانَ في مساعيه الخيّرة عن بذل كلّ جهد لوحدة الصف العربي، نعزي أنفسنا والشعب الكويتي الشقيق بهذا المصاب الجلل».

وأعلن الديوان الملكي الأردني الحداد في البلاط الملكي الهاشمي لمدة 40 يوماً، اعتباراً من اليوم (الثلاثاء 2020/9/29م).

أمير قطر: كان قائداً عظيماً وزعيماً فذاً اتسم بالحكمة والاعتدال وبُعد النظر والرأي السديد

المذكور: كانت له منزلة خاصة في قلوب أهل الكويت فهو والد الجميع ومصدر فخر واعتزاز لكل كويتي

المذكور: كان نبراساً للجميع

ومن الملوك والرؤساء إلى العلماء والدعاة ومختلف المؤسسات والهيئات؛ حيث تقدم رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد مذكور المذكور بخالص العزاء وصادق المواساة إلى آل الصباح الكرام وإلى الشعب الكويتي والعالم العربي والإسلامي، في وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، سائلاً المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته، ويدخله الفردوس الأعلى من الجنة.

وقال المذكور: «لقد كانت مسيرة حياته، يرحمه الله، نبراساً يستفيد منه الجميع، ونقتبس من حياته الكثير من المواقف الكريمة والمبادرات المشرفة، وقد كانت له منزلة خاصة

في قلوب أهل الكويت، فهو والد الجميع، ومصدر فخر واعتزاز لكل كويتي؛ لكون سموه راعياً لمسيرة الخير والعمل الإنساني، وصاحب المواقف الإنسانية النبيلة»، مشيراً إلى امتداد أيادي سموه البيضاء بالعطاء ومساندة الفقراء والمساكين والأيتام في أنحاء مختلفة من العالم؛ بما عكس الوجه الحضاري والإنساني لوطننا الحبيب الكويت، ووضع الكويت في مكانها اللائق بين دول العالم.

المعتوق: كان صاحب رؤية ثاقبة

كما نعى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية المستشار بالديوان الأميري، د. عبدالله المعتوق، صاحبَ السمو الأمير الراحل، في بيان، أكد فيه أنه برحيل سموه يكون العالم قد خسر حاكماً مخلصاً وقائداً إنسانياً من طراز فريد، مستذكراً رحلة العطاء الثرية والزاخرة لسموه وسجله الريادي في خدمة وطنه وشعبه وأمتيه العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء.

وأكد أن العمل الخيري الكويتي شهد في عهد سموه، رحمه الله، تطوراً مؤسسياً مشهوداً وحركة انتشار واسعة في مختلف أنحاء العالم، أسهمت في انتشال ملايين الفقراء من مستنقع الجهل والمرض والحاجة، وتخفيف معاناة المنكوبين جراء الحروب والكوارث، وكانت لتوجيهاته السامية، رحمه الله، ودعمه المتواصل لمسيرة العمل الخيري، الأثر البالغ في دعم مشاريع التنمية المستدامة.

وأشارت إلى أن الراحل كان صاحب رؤية إنسانية ثاقبة ومواقف منصفة للعمل الخيري، فقد كان يردد في العديد من المناسبات أن العمل الخيري تاج على الرؤوس، وأن العمل الخيري هو الذي حفظ الكويت، ومنذ تولي سموه، رحمه الله، مقاليد الحكم عام 2006م برز العمل الخيري معلماً مميزاً من معالم السياسة الخارجية للبلاد وركيزة أساسية من ركائزها في بناء العلاقات.

وأكد البيان أن «الراحل، رحمه الله، بحكمته وحبه للخير خلف إرثاً خيرياً كبيراً، وقدَّم نموذجاً يحتذى في القيادة والبذل والعطاء، وبمشيئة الله ستظل مواقفه ومبادراته الإنسانية وأعماله ومنجزاته الوطنية شاهدة على استثنائية قيادته للوطن، وأن سيرته العطرة ستبقى حية في وجدان شعوب العالم؛ لأن أياديه البيضاء امتدت لإغاثة الملهوفين ومساعدة الضعفاء وتضميد جراح المنكوبين في مشارق الأرض ومغاربها من دون تمييز».

«حماس»: صاحب المواقف الشجاعة

وببالغ الحزن وبمزيد من التسليم والرّضا بقضاء الله وقدره، نعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) -كما جاء في بيان للحركة- ومعها الشعب الفلسطيني في أماكن وجوده كافة، إلى آل الصباح الكرام، وإلى دولة الكويت الشقيقة، وإلى الشعب الكويتي العزيز، المغفور له بإذن الله تعالى، سمو الأمير الراحل.

ووصفت الحركة سموه بأنه كان «صاحب المواقف الشجاعة والحكيمة، والأيادي البيضاء، والمسيرة المعطّرة بالخير والبذل والعطاء»، مستذكرة بكل حبّ وتقدير وفخر واعتزاز سيرته ومسيرته في خدمة قضايا الأمَّة العربية والإسلامية، وبصمته الواضحة في دعم وحدتها وأمنها واستقرارها، وفي مقدّمة تلك القضايا القضية الفلسطينية، وفي القلب منها القدس والمسجد الأقصى المبارك، ودعم حقوق الشعب الفلسطيني وصموده ونضاله المشروع؛ ما جعل دولة الكويت الشقيقة في صدارة الداعمين والمؤيّدين لقضية شعبنا وحقوقه ومقدساته.

وقال البيان: «إنَّنا في حركة «حماس» لنعتبر أنَّ المصاب في فقده، يرحمه الله، هو مصاب الشعب الفلسطيني ومصاب الأمَّة قاطبة».

المعتوق: العمل الخيري الكويتي شهد في عهد سموه تطوراً مؤسسياً مشهوداً وحركة انتشار واسعة بمختلف أنحاء العالم

«حماس»: نستذكر بكل اعتزاز سيرته في خدمة قضايا الأمَّة العربية والإسلامية وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية

«الديلي ميل»: اكتسب سمعة طيبة كقائد داهية لا يتزعزع وساعد في توجيه بلاده خلال الغزو العراقي وانهيارات أسواق النفط

«حدس»: نستذكر حنكته الدبلوماسية ومبادراته الإنسانية

وقد نعت الحركة الدستورية الإسلامية الكويتية (حدس) ببالغ الأسى والحزن للشعب الكويتي والأمة العربية والإسلامية والعالم أجمع الفقيد الكبير، وقالت الحركة، في بيان لها: «إننا في هذا المصاب الجلل لنستذكر مآثر الفقيد، رحمه الله، في حنكته الدبلوماسية ومبادراته الإنسانية ومساعيه السلمية، داعين المولى تعالى أن يجعل ذلك كله في صحيفة أعماله ويثقل بها ميزانه وأن يسكنه أعالي الجنان».

وأضافت أن «المواطنين والمواطنات وهم يقاسون الحزن في المصاب الجلل يستمدون صبرهم وسلواهم من المولى الغفور الرحيم، ثم من ثقتهم بقيادة البلد وبوجود مؤسسات وضوابط دستورية تبسط الأمن والطمأنينة والاستقرار».

الصحافة الأجنبية: قائد داهية

كما تناولت الصحافة الأجنبية خبر وفاة سموه في تقارير موسعة مشيدة بمواقفه ومسيرة حياته الحافلة بالإنجازات؛ حيث قالت وكالة «بلومبيرغ»: توفي اليوم الشيخ صباح الأحمد الزعيم الكويتي الذي حاول معالجة الانقسامات عن عمر ناهز 91 عاماً.

وتابعت: الشيخ صباح دبلوماسي محنك حاول رأب الصدع بين دول الخليج المتناحرة، وإعادة بناء العلاقات مع العراق رغم الاعتداء الغاشم الذي صدر من الأخير.

كما قالت صحيفة «الديلي ميل»: إن أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح يعد مهندس السياسة الخارجية الحديثة للبلاد والوسيط في بعض أسوأ الأزمات في الخليج.

وتابعت: اكتسب الشيخ صباح سمعة طيبة كقائد داهية لا يتزعزع، ساعد في توجيه بلاده خلال الغزو العراقي عام 1990م، والانهيارات في أسواق النفط العالمية والأزمات في البرلمان وفي الشوارع.

وتابعت: بصفته أكبر دبلوماسي في البلاد لما يقرب من أربعة عقود، فقد عزز العلاقات الوثيقة مع الغرب، وعلى الأخص الولايات المتحدة التي قادت التحالف الدولي الذي حرر الكويت من الاحتلال العراقي في عام 1991م.

وقالت «كريستين ديوان»، كبيرة الباحثين بمعهد دول الخليج العربية في واشنطن: «خسارة صباح الأحمد ستؤثر بشكل عميق، بسبب دوره البارز كدبلوماسي ووسيط إقليمي وكشخصية موحدة في الداخل»، وأضافت أن «الكويتيين يقدرون قدرته على إبعاد الإمارة عن الصراعات والمنافسات الإقليمية».■

www.mugtama.com

سُمُوّه أحد المساهمين في بناء الكويت الحديثة وإرساء دعائمها وتحقيق نهضتها

بصمات سموه أهلته لأن يكون مسؤولاً ناجحاً وقائداً بارزاً

الأمير نواف الأحمد.. نصف قرن من العطاء

أدى الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، اليمين الدستورية أميراً لدولة الكويت، خلفاً للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، الذي وافته المنية، يوم الثلاثاء 29 سبتمبر الماضي، في الولايات المتحدة.

المولد والنشأة:

ولد سمو الشيخ نواف الأحمد في مدينة الكويت بفريج الشيوخ، في 25 يونيو 1937م، وهو النجل السادس لحاكم الكويت العاشر المغفور له بإذن الله الشيخ أحمد الجابر المبارك الصباح الذي حكم الكويت في الفترة من عام 1921 وحتى عام 1950م.

جنّد كل الطاقات العسكرية والمدنية لتحرير دولة الكويت من الاحتلال العراقي

أسهم في دعم وبناء التكامل الأمني بدول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية

نشأ في قصر دسمان، بيت الحكم أثناء إمارة والده أحمد الجابر، وتلقّى تعليمه في الكويت، ضمن مدارسها النظامية، ومن بينها المدرسة المباركية.

تدرج على مدى 6 عقود في مناصب عدة بالدولة، ترك فيها بصمات واضحة، وهو من المسؤولين الذين حظوا بإجماع شعبي كونه يتمتع بصفات إنسانية غلب عليها التواضع، إلى جانب ما عهد فيه من صلاح وجدارة.

يتمتع سمو الشيخ نواف الأحمد، الذي أصبح الأمير الـ16 للكويت، بمسيرة حافلة بالعطاء، تدرج فيها سلم المسؤولية، شاغلاً خلالها العديد من المناصب المهمة.

وكانت بصمات سمو الشيخ نواف الأحمد واضحة في وزارات الدفاع والداخلية والشؤون والحرس الوطني وإنجازاته الكثيرة، أهَّلته لأن يكون مسؤولاً ناجحاً وقائداً بارزاً.

واختير سمو الشيخ نواف الأحمد ولياً للعهد عام 2006م، بإجماع من أفراد الأسرة الحاكمة؛ نظراً لما يتمتع به من شعبية واسعة في الأسرة ولدى مختلف فئات المجتمع، حيث عُرف بحسمه وتواضعه وحبه للعمل والإخلاص فيه بعيداً عن الأضواء.

ويعتبر سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد أحد مؤسسي الكويت الحديثة الذين ساهموا في إرساء دعائم الدولة وشاركوا في عمليات النهضة والبناء التي شهدتها البلاد عقب الاستقلال.

فالتاريخ السياسي والعملي لسموه والممتد لأكثر من نصف قرن من الزمن شاهد حي على جهوده الواضحة لجعل مكانة الكويت بين الدول المتقدمة والمتطورة، وأضحى عطاؤه وخبرته في المجالات التي تولى قيادتها محل احترام وتقدير من الجميع.

الحياة المهنية:

فمنذ استقلال البلاد مطلع الستينيات، كان لسموه بصمة في العمل السياسي، ففي 12 فبراير 1962م عيَّنه الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح، يرحمه الله، محافظاً لحولي، وظل في هذا المنصب حتى 19 مارس 1978م، عندما عُين وزيراً للداخلية في عهد الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله، ثم اختير وزيراً للدفاع في 26 يناير 1988م، حيث عمل سموه على تحديث وتطوير المنظومة الدفاعية من خلال حرصة على إيفاد أبنائه العسكريين الكويتيين إلى الدول الصناعية العسكرية للتدريب على قيادة الطائرات العسكرية واستعمال كافة أنواع الأسلحة والمدرعات.

www.mugtama.com

وبعد تحرير الكويت من الغزو العراقي عام 1991م، تولى سموه حقيبة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، في 2 أبريل 1991م، حيث قال حينها: «أنا جندي أقبل العمل في أي مكان يضعني فيه سمو أمير البلاد».

وفي 16 أكتوبر 1994م، تولى سموه منصب نائب رئيس الحرس الوطني؛ فترك بصمته المميزة على هذا المرفق الأمني الحيوي، حيث عمل على تطوير المنظومة العسكرية للحرس وجعله الذراع اليمنى للقوات المسلحة.

واستمر سموه في هذا المنصب حتى 13 يوليو 2003م، عندما تولى وزارة الداخلية، ثم صدر مرسوم أميري في 16 أكتوبر من العام نفسه بتعيين سموه نائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للداخلية، وبقي في هذا المنصب حتى تعيينه ولياً للعهد في عام 2006م.

إنجازات بارزة:

ولسموه إنجازات بارزة قبل توليه ولاية العهد، منها تحويل منطقة حولي التي كانت عبارة عن قرية إلى مركز حضاري وسكني يعج بالنشاط التجاري والاقتصادي، وأصبح العمران الحديث ينمو في أرجائها وبقية مناطق المحافظة.

وحين أسندت إلى سموه حقيبة وزارة الداخلية كان الهاجس الرئيس له هو حفظ الأمن والاستقرار للوطن والمواطنين، وحرص على مجاراة العصر ومواكبة التقدم العالمي في مجال الأمن؛ إذ عمل على تطوير وتحديث كافة القطاعات الأمنية والشرطية، وتوفير الإمكانات المادية للنهوض بالمستوى الأمني، وإدخال الأجهزة الأمنية الحديثة، ورسم إستراتيجية منظومة أمنية متكاملة لمكافحة الجريمة وضرب أوكارها في مختلف مناطق وحدود الكويت.

وحرص سموه على الاستفادة من الثورة المعلوماتية في العالم من خلال توظيف تطبيقاتها التكنولوجية المتقدمة في عمل الأجهزة الأمنية المختلفة، مثلما فعل بكل الوزارات التي تولى مسؤوليتها.

كما وضع سموه إستراتيجية أمنية دقيقة لمنظومة شاملة تحمي الحدود براً وبحراً، إذ ترصد المنظومة الإدارية كل شبر من أرض الوطن، فيما تغطي القواعد البحرية المياه الإقليمية والجزر، أما المراكز الحدودية فتغلق الطرق أمام المتسللين وضبط كل من تسول له نفسه العبث بأمن واستقرار البلاد.

وخلال توليه وزارة الدفاع حقق سموه نقلة نوعية فيها، من خلال تطوير العمل بشقيه العسكري والمدني، وتم تحديث وتطوير معسكرات الوزارة ومدها بكل الأسلحة والآليات الحديثة لتقوم بواجبها الوطني في الدفاع عن الكويت وحمايتها من المخاطر الخارجية.

وترك سموه بصمات إنسانية واضحة حين تولى حقيبة وزارة الشؤون الاجتماعية؛ إذ سارع إلى اتخاذ قرارات إنسانية لرعاية الأرامل والأيتام والمسنين، كما برهنت أعماله على أنه خير نصير للطفل والمرأة والأرملة والمسن والعامل.

كان خير العضيد والمساند للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد في جهود المصالحة الخليجية

سموه يحرص على تعزيز الفضائل والقيم والإيمان بأهمية وحدة وتكاتف أبناء الكويت جميعاً

وعندما تعرضت البلاد إلى محنة الغزو عام 1990م، ساهم سمو الشيخ نواف الأحمد في القرارات الحاسمة لمواجهة الاحتلال، وجنَّد كل الطاقات العسكرية والمدنية من أجل تحرير دولة الكويت، وأدى دوراً في قيادة المقاومة وتأمين وصول الشرعية للمملكة العربية السعودية الشقيقة إلى جانب قيادته للجيش.

وحققت الرؤية الأمنية الثاقبة لسموه ثمارها وخصوصاً في التعامل مع الحوادث الإرهابية في البلاد، كالتي حدثت في يناير 2005م، حيث قاد سموه بنفسه المواجهة ضد الإرهابيين، وكان موجوداً في مواقع تلك الأحداث لاستئصال آفة الإرهاب في البلاد من جذورها.

وعلى الصعيد الإقليمي، أولى سموه أهمية كبرى لأمن دول الخليج العربي، فمن خلال مشاركته في اجتماعات وزراء الداخلية للدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي تم تحقيق قدر كبير من التنسيق الأمني بين أجهزة الأمن في الدول الشقيقة؛ بهدف مجابهة المخاطر التي تهدد المنطقة ودولها وعلى رأسها الإرهاب.

وأكد سموه أن الأمن العربي وحدة واحدة وكل لا يتجزأ، وانطلاقاً من هذه الرؤية الإستراتيجية، كانت مشاركات سموه في اجتماعات وزراء الداخلية العرب التي أسفرت عن إجماع عربي على محاربة الإرهاب، ودعم جهود العمل الأمني المشترك، وأهمية تبني الحلول العلمية الشاملة لمواجهة مخاطر الإرهاب والمخدرات وغسيل الأموال والفساد وسائر القضايا الأمنية الأخرى.

وكان سموه خير العضيد والمساند لأخيه الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، في جهود المصالحة الخليجية وجهود المصالحة اليمنية.

ويرى سموه أن القوة والمنصب يجب أن يسخرا لنصرة الضعيف والمظلوم، وأن الناس سواسية أمام القانون، وأن البلد مسؤولية الجميع، ويحرص سموه على تعزيز الفضائل والقيم والإيمان بأهمية وحدة وتكاتف أبناء الكويت جميعاً إيماناً بأن قوة الكويت في وحدة أبنائها، وأن تقدمها وتطورها مرهون بتآزرهم وتلاحمهم وإخلاصهم في العمل.■

الكويت تودِّع أحد أبرز علمائها ودعاتها

الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق

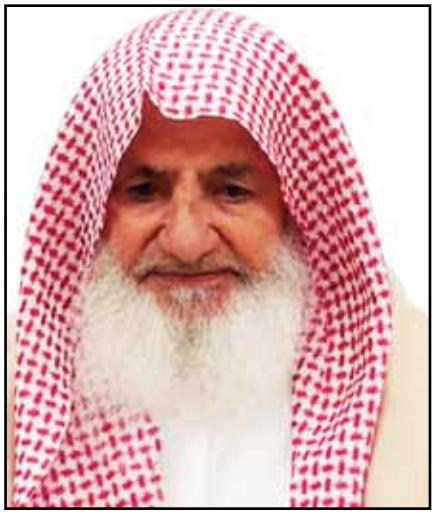

فقدت الأمة الإسلامية العلاَّمة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، الذي وافته المنية، بمستشفى الصباح في دولة الكويت عن عمر يناهز الـ80 عاماً، إثر أزمة قلبية مفاجئة تعرض لها.

والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق مصري المولد، حيث ولد في قرية عرب الرمل بمحافظة المنوفية بمصر عام 1939م، وحصل على الجنسية الكويتية بموجب مرسوم أميري صدر في عام 2011م.

وتواجد الشيخ عبدالرحمن في الكويت منذ عام 1965م، قام خلالها بتدريس العلوم الشرعية وإلقاء المحاضرات الدينية وإصدار عشرات الكتب، وهو أحد أبرز رموز الدعوة السلفية في الكويت، كما ساهم في تأسيس جمعية إحياء التراث في عام 1982م.

كما أن للشيخ، رحمه الله، ما يزيد على 60 مؤلفاً، من أشهرها: «الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي»، «السلفيون والأئمة الأربعة رضي الله عنهم»، «أضواء على أوضاعنا السياسية»، «العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية»، «الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها»، «المسلمون والعمل السياسي».

أحد أعلام الدعوة السلفية

ومن جانبه، تقدم رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي، د. خالد مذكور المذكور، بخالص العزاء وصادق المواساة في وفاة العالم الجليل، وقال، في تصريح صحفي: فقدت الساحة الدعوية عالماً كبيراً كرَّس حياته في البحث العلمي والدعوة إلى الله تعالى، وله الكثير من الكتب والمؤلفات في مختلف العلوم الإسلامية للدفاع عن العقيدة الإسلامية ودفع الشبهات والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأشاد المذكور بعطاء الفقيد، يرحمه الله، مشيراً إلى أن عطاءه لم يقف عند حدود العمل الدعوي، بل امتد إلى مجالات العمل الاجتماعي وإصلاح ذات البين وتأليف القلوب، وكانت له عناية خاصة بقضية القدس وفلسطين ومناصرة المستضعفين.

هذا، وقد نعاه رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والمستشار بالديوان الأميري د. عبدالله المعتوق، واصفاً إياه بأنه كان «أحد رواد العمل الخيري والإسلامي، وأنه كان من العلماء الأفذاذ الراسخين في العلم، والدعاة الأجلاء، والمفكرين الأعلام، والمجتهدين المخلصين، مشيراً إلى أنه تتلمذ على أيدي علماء ومربين عمالقة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو صاحب العديد من المؤلفات والكتب الإسلامية القيمة التي أثْرت المكتبة الإسلامية وأنارت عقول الشباب المسلم.

كما نعاه علماء ومفكرون وسياسيون عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فمن جانبه، قال رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم: «ببالغ الحزن والأسى، تلقينا خبر وفاة الشيخ الجليل عبدالرحمن عبدالخالق، ونسأل الله جلت قدرته أن يرحمه برحمته الواسعة، ويسكنه جنات الفردوس، وأن يلهم ذويه ومحبيه الكثر الصبر والسلوان».

المذكور: عطاؤه لم يقف عند حدود العمل الدعوي بل امتد إلى مجالات العمل وكانت له عناية خاصة بقضية فلسطين

الشنقيطي: كان من رجالات الإسلام الذين حملوا همّه طيلة عمره الطويل بجد واجتهاد

وقال عضو هيئة الفتوى في الكويت د. عجيل النشمي: رحم الله الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، المحدّث المفسر الفقيه، اللهم اقبل شهادتي فيه، فقد خبرته حضراً وسفراً، فعلمت عميق علمه، وعلو همته، وإخلاصه، وبالغ حرقته على دينه وأحوال أمته، ولا نزكي على الله أحداً، اللهم فاقبله برحمتك، وأنعم عليه برفقة خير خلقك من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقال عنه رئيس جمعية «بشائر الخير» المهندس عبدالحميد البلالي: إنه «قضى حياته في التعليم والدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح، وكان من أبرز شيوخ السلف الذين استنكروا مذبحة «رابعة»، وله ردود مفحمة ضد الأحزاب الدينية التي أيدت المذبحة».

ووصف أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت د. عبدالرزاق الشايجي بأنه كان من أبرز علماء الأمة العاملين، ومؤسس الدعوة السلفية في الكويت، عرفه أهلها منذ أكثر من 55 عاماً باعتداله، تتلمذ على يده العشرات من طلبة العلم، وعزاؤنا في علمه الوفير المتاح.

وقال عنه المفكر والداعية د. محمد العوضي: منذ وعينا على الدنيا واسمه في سماء الدعوة ناصراً لقضايا أمته، وختم مسيرته برسالة يحذر فيها من جريمة التطبيع مع الصهاينة، رحمه الله ورفع درجته في المهديين، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته.

وقال المفكر الموريتاني د. محمد مختار الشنقيطي: رحل الشيخ الداعية المربي الكويتي المصري عبدالرحمن عبدالخالق، رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان من رجالات الإسلام الذين حملوا همّه طيلة عمره الطويل العريض بجد واجتهاد، غفر الله ذنبه وتقبّل كسبه، إنّا لله وإنا إليه راجعون.■

www.mugtama.com

فرنسا.. وحلم الهيمنة على المنطقة العربية مجدداً

جاءت زيارة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» للبنان، مؤخراً، إثر انفجار مرفأ بيروت، وما صاحبها من تصريحات وتصرفات منه تفتقد لأدنى الأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها أي ضيف؛ لتنكأ جراحاً لم تكد تندمل، خلفتها فترة الاحتلال الفرنسي الذي رحل عن المنطقة شكلاً وبقي فيها مضموناً وموضوعاً؛ حيث ما زالت فرنسا تقوم بدور الوصاية والابتزاز على الدول التي كانت تحتلها، وما «الفرنكوفونية» إلا خير دليل وأوضحه على هذا.

جاءت هذه الزيارة وما صاحبها أيضاً من بعض الأصوات النشاز التي طالبت «ماكرون» بحمياتهم من حكوماتهم وفسادها؛ لتدق جرس إنذار كبيراً لمواجهة هيمنة أخرى مرتقبة بدأت تلقي بظلالها الكئيبة على المنطقة التي تعاني من الأزمات تلو الأزمات.

ولما كان الأمر يتعلق بمعركة تحرر وانعتاق من خيوط مؤامرة حيكت في الظلام وبدأت تخرج للعلن؛ كان لا بد من تذكير الناسي وتنبيه الغافل واستنهاض الهمم للقيام بأدوار منوطة بكل من ينتمي لهذه الأمة وينتسب إليها، وذلك من خلال هذا الملف الذي تقدمه «المجتمع»، الذي يتضمن الموضوعات التالية:

- فرنسا.. والهيمنة على الشرق الأوسط.
- من «نابليون» إلى «ماكرون».. تجديد الغزو الفرنسي للشرق الإسلامي.
- مواجهة الإسلام و«العثمانية الجديدة».. دوافع فرنسا للهيمنة على المنطقة العربية.
- اللغة.. الباب الواسع الذي استهدفت منه فرنسا الهوية العربية.
- الفرنكوفونية.. توحيد للشعوب أم هدم للهويات؟■

فرنسا.. والهيمنة على الشرق الأوسط

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

كي نفهم السلوك الغربي عامة، والفرنسي خاصة، تجاه منطقتنا والعالم المحيط بها ينبغي أن نلقي نظرة سريعة على الماضي الذي يفسّر التصرفات الغربية، والفرنسية تحديداً.

أذكر منذ أربعين عاماً أنني قرأت عبارة للمستشرق اليهودي «ليوبولد فايس» الذي أسلم وصار اسمه «محمد أسد»، تقول: «إن الروح الصليبية هي التي تحكم أوروبا».

والروح الصليبية لا علاقة لها بالبنية الدينية للمسيحية، ولكنها تتلفع بها وتتكئ عليها وتنطلق منها لتشيع العدوان والنهب والفساد في الأرض؛ فلم يحضّ المسيح عليه السلام على القتل والذبح والتدمير والسلب وقهر الآخرين المخالفين، ولكن الصليبيين اتخذوا من المسيحية أداة لوحشيتهم وهمجيتهم التي طالت العالم الإسلامي والأرثوذكسي على مدى عشرة قرون تقريباً، وللأسف فقد تغذت الأجيال الغربية وتوابعها في أمريكا وروسيا وبقية بلدان العالم على الثقافة الصليبية إن صح التعبير، حيث الإيمان بالقوة الهمجية، واحتقار الآخر، واستحلال أرضه وثرواته والهيمنة على أسواقه، واستخدام الأساليب المحرمة وغير المشروعة لتحقيق ذلك، وفي مقدمتها سفك دماء الأبرياء.

يمكن أن نكتشف جذور الصليبية الوحشية الهمجية في يوم 27 نوفمبر 1095م، حيث ألقى «أوربان الثاني» (أوربانوس الثاني)، بابا الفاتيكان، خطبته في سان مونت كلير بجنوبي فرنسا لتدشين الحرب الصليبية الأولى؛ فقد وصف المؤرخ «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة الغرب» هذه الخطبة بأنها نوبة حادة من الجنون.

الأجيال الغربية وتوابعها تغذت على الثقافة الصليبية حيث الإيمان بالقوة الهمجية واحتقار الآخر

ماذا قال البابا في خطبته؟

«يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين في الشرق، قلب موائد القرابين المقدسة، ونهب الكنائس وخربها وأحرقها، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب، ودنسوا الأماكن المقدسة برجسهم، وقطعوا أوصال الإمبراطورية البيزنطية، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع إذا لم تقع عليكم أنتم، أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم، أمجاد «شارلمان» وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا -الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست- لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن التي تحيط بها من جميع جوانبها البحار، وتلك الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بمن يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج، إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السماوات».

حركت الخطبة مشاعر المجتمعين، وتدافعوا بالمئات يركعون أمام البابا مثل الأسقف «أدهمير» الذي طلب إلحاقه بالحملة الصليبية، كان الحماس منقطع النظير، وراح المجتمعون يحملون الصلبان ويقسمون على

تخليص المدينة المقدسة، وقد وصل عددهم إلى ثلاثمائة ألف، وأوضح «أدهمير»، الذي عيّنه البابا «أوربان الثاني» ممثلاً شخصياً ونائباً عنه، أن الحملة تحت إشراف الكنيسة، بل تحت إشرافه هو مباشرة.

في هذه الخطبة تتكشف أسس العدوانية الصليبية الاستعمارية ضد المسلمين منذ ذلك الحين حتى الآن:

1 - العنصرية الفاقعة ضد المسلمين وعدّهم جنساً نجساً معتدياً، يعتدي على شعب الله المحبوب المختار.

2 - الاعتماد على الأكاذيب والادعاءات غير الصحيحة لتسويغ العدوان على المسلمين (الطغيان، البغي، قتل الأسرى، تدنيس المقدسات، الاستيلاء على الأراضي..).

3 - الرغبة الشريرة في الانتقام اقتداء بالأسلاف العدوانيين وخير من يمثلهم الإمبراطور «شارلمان» وأمثاله من القادة الصليبيين.

4 - الادعاء الكاذب بحق الصليبيين في حماية ما يسمى ضريح المسيح الذي لا وجود له أصلاً وفقاً للعقيدة الإسلامية.

5 - التلميح إلى ضيق الأراضي الصليبية، وضرورة التوسع في أراضي المسلمين.

6 - الطمع في القدس والرغبة في الاستيلاء عليها؛ «إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج».

7 - ربط القتال والسيطرة على القدس بغفران الذنوب ودخول الجنة.

هل تفعل فرنسا الآن شيئاً غير ذلك، وإن اختلفت المسميات منذ بدأت الحروب الصليبية بقيادة «بطرس الحافي» قبل عشرة قرون؟

بين المرفأ و«إيبدو»

على ضوء الماضي، يمكن أن نفسر سلوك فرنسا ورغبتها الجامحة في الهيمنة على الشرق الإسلامي، والتحكم في مصائر أهله وثرواتهم، بعد أن وصل بهم الضعف أو التدهور إلى الحضيض في المجالات كافة؛ العسكرية والتنظيمية والعلمية والثقافية والاجتماعية، فضلاً عن الأوضاع الاقتصادية المنهارة.

هناك مثالان قريبان للغاية؛ الأول ما يتعلق بانفجار ميناء بيروت (2020/8/9م)، والآخر تعليق الرئيس الفرنسي (2020/9/2م) على ما نشرته مجلة «شارلي إيبدو» من إساءات للرسول صلى الله عليه وسلم.

عقب انفجار بيروت سارع الرئيس الفرنسي، وتلاه عدد من المسؤولين الكبار بزيارة بيروت، وذهب إلى المرفأ (موقع الانفجار) قبل أن تطأه قدم مسؤول لبناني، وتحدث عن ضرورة مواجهة آثار الانفجار وعقد مؤتمر دولي لدعم اللبنانيين، وتشكيل حكومة لبنانية جديدة تتوفر فيها عناصر العمل الجاد من أجل لبنان ومعالجة مشكلاته الاقتصادية والسياسية، وكانت تصريحاته من هناك توحي أن لبنان مجرد مقاطعة فرنسية يحكمها الفرنسيون وحدهم، وترتب على ذلك أن تقدم نحو ستة وثلاثين ألف لبناني بمذكرة تطالب بإعادة احتلال فرنسا لبلدهم كي تستقيم الأمور! وهو ما أثار جدلاً كبيراً على مستوى العالم العربي.

مع تراجع الدور الأمريكي بالمنطقة نشطت فرنسا بعهد «ساركوزي» الذي تبنى مشروع «الاتحاد من أجل المتوسط»

فرنسا تمكنت من تغريب الجزائر وتغيير هويتها فألغت اللغة العربية وأحلّت الفرنسية وحاربت الكتاتيب

لقد جاء تعليق «ماكرون» على إساءة «شارلي إيبدو» بأنها حرية تعبير، وأن أي فرنسي يستطيع أن ينتقد رئس الجمهورية، ونسي أن الغرب -بما فيه فرنسا- أصدر قانوناً يمنع الإساءة إلى اليهود ومقدساهم وتاريخهم، ويحرّم التشكيك في المحرقة.

لقد شاركت فرنسا بوصفها رأس حربة في الحروب الصليبية، ومع انتهاء دور محمد علي السياسي بالنسبة لفرنسا، اتجهت نحو المغرب العربي الكبير، لتحتله وتمارس أبشع أنواع القتل والفرْنسة واستئصال الإسلام، واتضحت أبرز جرائمها في الجزائر التي احتلتها عام 1830م، ويوم قرر «ديجول» الانسحاب من الجزائر، وإعلان استقلالها، خلّف وراءه في البلاد حزباً كبيراً يسمى «حزب فرنسا»، وإن لم يكن له صفة رسمية، ويضم نخبة ضخمة من العسكريين والمثقفين والتكنوقراط والتجار وأتباع الكنائس التي زرعوها في البلد المسلم وآخرين، وهو ما جعل الاستقلال شكليا.

استقلال زائف

بينما كانت تمنح فرنسا مستعمراتها أو محمياتها العربية والأفريقية استقلالاً زائفاً، فقد حرصت على أن تكون حاضرة باستمرار في الأحداث المؤثرة وخاصة في المنطقة العربية، لقد وقفت من وراء الكيان الصهيوني الغاصب وزوّدته بالتقنية العلمية المتقدمة، وأسّست لمفاعلين نوويين؛ أحدهما مفاعل ديمونة الشهير، كما سلحت جيش الحرب الصهيوني بطائرات «الميراج» التي حسمت عدوان عام 1956م الثلاثي، ثم عدوان عام 1967م بهزيمة مدوية قصمت ظهر مصر والعرب والمسلمين.

قبل عقد من الزمان، تراجع الدور الأمريكي في الشرق الإسلامي، فنشطت فرنسا في عهد «نيكولاي ساركوزي» الذي زار بعض البلدان العربية واستقبل «نتنياهو»، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، ليقوم بإحياء المفاوضات بين الفلسطينيين والمحتلين، لكنه لم يوفق لرفض الكيان الصهيوني الخضوع للقرارات الدولية، ولكن «ساركوزي» كان يسعى إلى حضور فرنسا الإقليمي، فتبنى منذ وصوله إلى الرئاسة الفرنسية مشروع «الاتحاد من أجل المتوسط»، الذي أصبح مشروعاً أوروبياً تبناه الاتحاد الأوروبي لاحقاً لتتحرك فرنسا في مجال أرحب وتفيد اقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

لقد تدخلت فرنسا عسكرياً مع الحلفاء الأوروبيين وأمريكا في سورية وأفغانستان، فضلاً عن قيادة الاتحاد الأوروبي لتصفية العقيد القذافي في ليبيا والسيطرة على النفط، وتسعى الآن إلى إبعاد تركيا عن المنطقة، وتحرض ضدها، وتستخدم قواتها المسلحة في مالي وأفريقيا الوسطى لمكافحة الإسلام أو ما تسميه الإرهاب!

أما مجال الهيمنة الناعمة؛ فيتمثل في نشر الثقافة الفرنسية عبر المدارس الفرنسية التبشيرية في المدن العربية الإسلامية، وتقديم آلاف المنح الدراسية سنوياً للطلاب العرب والمسلمين للدراسة في فرنسا!■

www.mugtama.com

د. زينب عبدالعزيز أستاذة التاريخ والحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة لـ«المجتمع»:

فرنسا تتزعم فرض الكاثوليكية رغم زعمها فصل الدين عن الدولة

حوار- علا سليمان:

هي د. زينب عبدالعزيز، أستاذة الحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة، من مواليد الإسكندرية بمصر، في 19 يناير 1935م، وصاحبة أحدث ترجمة بالفرنسية لمعاني القرآن، وواحدة من أبرز الناشطات في مواجهة العمل «التنصيري» وفضح مخططاته، لدرجة أنها تعرضت للتهديد بالقتل ثلاث مرات بسبب «فضحها لحملات التنصير ومخططاته»، كما صرحت هي.

كذلك، فإن د. زينب صاحبة إنتاج غزير فيما يتعلق بهذا الملف الشائك (ملف الاستعمار القديم والحديث ومحاولات طمس الهوية العربية والإسلامية لصالح الهوية الغربية المسيحية)؛ ولذلك تجد عناوين كتبها تؤكد ذلك مثل: «حرب صليبية بكل المقاييس»، «المساومة الكبرى.. من مخطوطات قمران إلى مجمع الفاتيكان الثاني».. وغيرهما مما لا يتسع المقام لذكره.

اختارت «المجتمع» الذهاب إليها بوصفها من أهم المختصين في هذا الملف بكل روافده، لنسألها عن زيارة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الأخيرة للبنان، وكيف تراها في سياق الأطماع الاستعمارية الغربية، ولنسألها عن توابع هذه الزيارة وما يمكن أن ترتبط به من جهد «فرنكوفوني» دؤوب لإحياء هذه الهوية، وعلاقة ذلك كله بالجهد التنصيري من خلال طبيعة الدور الفرنسي وعلاقته بالفاتيكان ومخططاته.. أسئلة كثيرة طرحتها «المجتمع» على أستاذة التاريخ والحضارة الفرنسية د. زينب عبدالعزيز من خلال الحوار التالي:

● بداية، لو أردنا تصوراً لزيارة الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الأخيرة للمنطقة ولبنان على وجه التحديد كيف يكون؟

- التصور لديَّ واضح وغير ملتبس بالمرة، ولا علاقة له أبداً بما يتم ترويجه عبر وسائل إعلامية موجهة، وهو أن الزيارة لا يمكن فصلها عن السياق الاستعماري الذي ما زالت تتحرك فيه فرنسا تجاه المنطقة وتجاه بعض الدول وعلى رأسها لبنان لأسباب معينة.

وهنا أؤكد أن حضور الرئيس الفرنسي «ماكرون»، في السادس من أغسطس الماضي، قبل مرور 48 ساعة على انفجار بيروت له دلالاته على أهمية لبنان تحديداً في خارطة الاستعمار الفرنسي.

وبالمناسبة -وهذا أمر لا بد من ذكره- «ماكرون» ليس أول رئيس فرنسي يزور لبنان، ففي أكتوبر 1983م سافر «فرانسوا ميتران» لإحياء ذكرى رجال المظلات الذين قتلوا في إحدى المعارك؛ وفي فبراير 2005م ذهب «جاك شيراك» لحضور جنازة رفيق الحريري، وكان الرئيس الوحيد الذي حضر.

● إذن، تركيز فرنسا تحديداً على لبنان ليس وليد الأحداث؟

- بكل تأكيد، وهنا يمكنني أن أذكّر ببعض التواريخ المهمة التي تؤكد أن المخطط قديم؛ فقد تم إنشاء لبنان عام 1520م كحامية فرنسية، وأولى العلاقات الدولية تم نسجها أيام ملك فرنسا «فرانسوا الأول» الذي تسلم أو انتزع آنذاك من السلطان التركي مسؤولية حماية مسيحيي الشرق، وازدادت الروابط عام 1920م عندما أصبح لبنان تحت الحماية الفرنسية.

وفي عام 1943م حصل لبنان على

استقلاله، إلا أن الوجود الفرنسي ظل قوياً خاصة من خلال التعليم وما يبثه، لذلك فإن الاستقلال لم يمثل أي شرخ في العلاقات بين البلدين، فقبل مغادرتها قامت سلطات الاحتلال الفرنسية بفرض دستور يترك لها الباب مفتوحاً على مصراعيه؛ إذ نص ذلك الدستور على أن يترأس الدولة رئيس مسيحي، وأن يكون رئيس الوزراء مسلماً.

البعض يعتبر هذا الأمر طبيعياً في بلد متعدد الأطياف والملل والنحل؛ بل يعدّه آخرون نموذجاً على التعايش، فما رأيك؟

- أنا معك، قد يبدو الأمر طبيعياً في دولة بهذا الوصف، لكن حينما تعلم أن المسلمين في لبنان طبقاً لتعداد أجراه الفاتيكان نفسه يمثلون 67.5% من السكان، وأن الباقي منه (32.5%) يضم كل مختلف الطوائف الأخرى لأدركنا اللعبة الاستعمارية من جهة، وأدركنا الدور الذي تقوم به الأقليات المسيحية لصالح الغرب الصليبي وصالحها.

وهنا أيضاً ندرك معنى أن يتقدم 36 ألفاً من اللبنانيين، ويوقعون على عريضة تطالب بعودة الاحتلال الفرنسي، يفعلون ذلك بينما الموت لا يزال يحصد من يحصده، فور الانفجار المدمر!

● هل تودين القول: إن بعض الأقليات المسيحية في الشرق إحدى الأدوات المهمة للمستعمر الغربي ضد بلدانهم؟

- بكل تأكيد، فالدور الذي تقوم به الأقليات المسيحية في البلدان المسلمة بالشرق الأوسط مهم لخدمة الدور التدميري الذي يقوم به الغرب لاقتلاع الإسلام بفضل مساعدتهم.

فقرار تنصير العالم صادر عن مجمع الفاتيكان الثاني، وكل بابا ترأس الفاتيكان من بعد عام 1965م يؤكد «أنه قرار لا نقاش فيه ولا رجعة»، وهو ما يطرح على المسيحيين في جميع البلدان المسلمة قضية الولاء؛ هل يكون ولاؤهم للفاتيكان من خلال كنيستهم، أم للبلد الذي ولدوا به ويعيشون فيه كمواطنين أمناء؟

وهو الوضع الذي ينقلنا إلى قضية أخرى -أو إن شئنا التحديد إلى مصيبة أخرى- تتم تحت نفس المسمى الشهير «حماية مسيحيي الشرق الأوسط»، فمن أهم الكتب التي صدرت في أبريل 2016م كتاب بعنوان «مسيحيو الشرق»، وعنوانه الفرعي «لنقاوم على أرضنا»، بهذا الوضوح وبهذه الفجاجة، فالكاتب قس مسيحي، وما يترأسه مؤسسة تمثل جزءاً من ترتيب اقتلاع الإسلام.

وهنا يجب أن نلاحظ شيئاً يتعلق بفرنسا على وجه التحديد لندرك تشابك خيوط اللعبة، فالكتاب بقلم «مونسنيور بسكال جولنيش»، رئيس مؤسسة «عمل الشرق» بفرنسا، نعم هي مؤسسة فرنسية.

ونطالع على الغلاف الخلفي توضيحاً يقول: إن «مؤسسة «عمل الشرق» مهمتها مساعدة الكنائس التي تقف في خط الدفاع الأول لإقامة جسور بينها وبين فرنسا، للعمل من خلال الصحة والعمل الاجتماعي والثقافة ونقل العقيدة»، وعبارة «خط الدفاع الأول» عبارة حربية دارجة، موضحاً أن «مستقبل هذه المنطقة المتآكلة لن يتم بدون مسيحيّيها»، وحين يصل ما يستوجب التلميح إلى مثل هذا الوضوح، فذلك يشير إلى مدى تمكنهم من اللعبة.

وهنا ألفت النظر إلى عبارة شبيهة تناولها الغرب الصليبي أيام تصديه للإسلام والإمبراطورية العثمانية، وقد كانت التعبير الذي يستخدمونه فيما بينهم وفي مراسلاتهم هو «مسألة الشرق»، حتى أتوا عليها بتنصيب كمال أتاتورك واقتلاع اللغة العربية وغيرها، والباقي معروف، والآن تتم إعادة نفس المخطط، وقد تضافر الغرب الصليبي لتنفيذ النظام العالمي الجديد، وإعادة تنظيم الشرق الأوسط بفضل الأقليات المسيحية التي يحمونها، ويفرضون عليها عدم الولاء للأوطان التي يعيشون فيها.

● برأيك، لماذا كل هذا الشحن ضد الإسلام من الجانب الغربي؟

- بسبب خوفهم من انتصار الإسلام، وأن يمتد إلى شطآنهم مرة أخرى، خاصة في وقت تداعى فيه وجود المسيحية.

وهنا ينبغي تذكر عبارة «جورج بوش» الابن بأن «هذه الحرب الصليبية ستكون طويلة المدى»! لنرى عدد البلاد المسلمة التي تم تدميرها بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ لندرك أننا في قلب مخطط يتم تنفيذه بإصرار في خط متواصل يمتد بين بلدان

فرنسا ابنة الكنيسة الكبرى وزيارة «ماكرون» للبنان لا يمكن فصلها عن السياق الاستعماري

حسب الفاتيكان فإن نسبة المسلمين في لبنان 67.5% وباقي الطوائف لا تزيد على 32.5%

لبنان بالنسبة لفرنسا يمثل أحد أهم المداخل للتأثير بالمنطقة وحميمية زيارة «ماكرون» ليست نزيهة

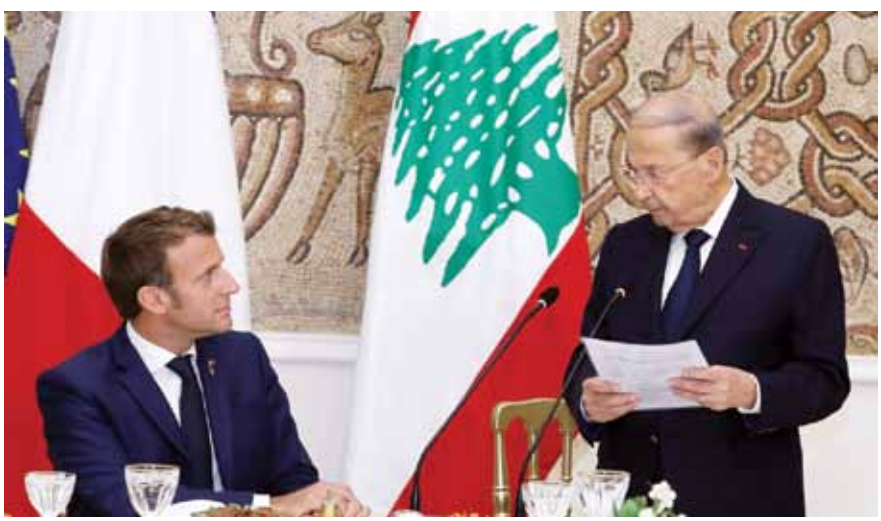

www.mugtama.com

الشرق الأوسط لإعادة ترسيمه إن لم يكن اقتلاعه، وكل ذلك كلام معلن وليس بخفيّ على أحد.

حتى في الكتاب الذي أشرت إليه منذ قليل، يؤكد «جولنيش» أن أهمية بقاء «مسيحيي الشرق» في أماكنهم يرجع إلى أمرين؛ أن وجودهم في الغرب يغيّر من تشكيل وتكوين بلدانهم حضارياً، فهم قادمون من الشرق المتخلف، كما أن وجودهم حيث هم حماية لنقاء حضارة الغرب، وأنهم هناك بعيداً عنا هم في مكان نشأة المسيحية؛ أي في مكانهم.

أعتقد أن الرؤية بهذه الصورة شديدة الوضوح، بل معلنة بصريح العبارة، ويتم تنفيذها خطوة خطوة، وللأسف هناك من المسلمين من ينكر ذلك.

● أشرت إلى الكتاب الصادر عن مؤسسة «عمل الشرق» الفرنسية، وقلت: إن هناك خصوصية لفرنسا في هذا الإطار الذي نتحدث فيه، وبما أننا إزاء التعليق على زيارة الرئيس الفرنسي «ماكرون»، فهلا وضحت لنا هذه الخصوصية؟

– فرنسا اسمها رسمياً «الابنة الكبرى للكنيسة»، وكل رئيس فرنسي يتولى رئاسة الدولة عليه أن يتوجه إلى الفاتيكان، ويلقي خطاب ولائه للفاتيكان في كنيسة «سان جاك دي لاتران»، ولم يخرج عن هذا الأمر إلا الرئيس «فرانسوا هولاند»؛ لأن هناك ما يحول دون دخوله الكنيسة بسبب وضعه الأسري غير الشرعي بالنسبة للكنيسة، لكن ذلك لم يمنعه من القيام بالتزاماته حيال الفاتيكان بموجب الاتفاقية الدولية الموقعة بين الدولتين في العصور السابقة، التي تتحمل فرنسا رسمياً بموجبها ثلثي تكاليف عمليات التبشير والتنصير من أموال وأشخاص ومعدات.

وكما قلت، فإن لبنان يمثل لفرنسا أيقونة غاية في الأهمية من خلال طبيعة تعداد مسيحيي الشرق الذين هم أقليات في كافة بلدان الشرق الأوسط، لكنهم يمثلون منافذ فعلية للفاتيكان وللكنيسة الكاثوليكية خاصة.

وهذا يؤشر إلى أهمية لبنان بالنسبة للغرب كله، ولفرنسا والفاتيكان وما بينهما من تنسيق تحديداً، خاصة أنهم حددوا أنه في هذا العام وتحت غطاء «كورونا»، فإنهم سينفذون المخطط الخاص بالنظام العالمي الجديد، فهو نظام سياسي واحد، واقتصادي واحد، وديني واحد، لكن غطاء «كورونا» جعل الأمور أكثر تعقيداً، خاصة فيما يخص ملفات اقتصادية كزيادة البطالة وإفلاس بعض الكيانات الاقتصادية وما إلى ذلك مما اضطرهم إلى تأجيل تنفيذ هذا المخطط.

● على ذكر المخططات، كيف ترين رفض «ماكرون» فكرة انتقاد إعادة مجلة «شارلي إيبدو» نشر الرسوم المسيئة؟

– دعيني أجيب بمجموعة من الأسئلة لندرك –دون إحاطة مني– حجم المؤامرة:

لماذا تم تأجيل فتح محاكمة «شارلي إيبدو» 5 أعوام لتتواكب مع ذكرى الحادي عشر من سبتمبر واحتفاليات البابا «فرانسيس» لفرض مخطط خطابه الرسولي «ممجد أنت»؟ ولماذا انتزع البابا وثيقة «الأخوة الإنسانية» من الأزهر التي تقول خلاصتها: الأزهر والمسلمون يناشدون الفاتيكان اقتلاع الشر باسم الدين من القرآن؟ ولماذا قام البابا بتكوين لجنة لتنفيذ بنود تلك الوثيقة بتاريخ الحادي عشر من سبتمبر لتثبيت وربط فكرة الشر و11 سبتمبر بالإسلام؟

كل هذه الأسئلة وغيرها كثير يتضافر ليشير إلى ما يحيكه الصهاينة والفاتيكان، ليكون المناخ كله في هذه الفترة مهيأ لمعاداة الإسلام وبداية اقتلاعه، بكل ما يقوم به البابا «فرانسيس» كخطوة أولى لتوحيد التعليم على مستوى العالم، وتوحيد الإجازة عالمياً بيوم الأحد، إضافة إلى ما ينوي ترتيبه في مجالي السياسة والاقتصاد.

● نعود مجدداً إلى فرنسا، وهذه المرة من نافذة الفرنكوفونية، هل هي إحدى أدوات هذا الصراع، أم أنها كما يروج البعض نافذة للتعايش والتقارب؟

– هذا الأمر يقتضي تعريف الفرنكوفونية وفهم السياق الذي نشأت فيه، فالفرنكوفونية لغة تعني ما يتعلق باللغة الفرنسية في كل استخداماتها الجغرافية، وإنسانياً تعني من يتكلم عادة اللغة الفرنسية بصفة دائمة طبيعية أو على الأقل في بعض الظروف والمناسبات الاجتماعية، سواء كلغة أم، أو كلغة أجنبية ذات طابع مؤسسي أو تعليمي، كما تطلق للإشارة إلى جماعات يتحدثونها في منطقة ما؛ إذ يقال: «المغرب الفرنكوفوني» أو «أفريقيا الفرنكوفونية»

● إذن، يمكننا تصنيف كثير من اللبنانيين بهذه الطريقة، فاللغة الفرنسية شديدة الانتشار في لبنان؟

– ليست في لبنان فحسب، بل في سورية كذلك؛ حيث كان التبشير قد سرى فيهما أكثر من غيرهما، فقد انغرست فيهما اللغة الفرنسية واستتبت منذ القرن السابع عشر، ومع تزايد الوجود السياسي المرتبط بالموجة الاستعمارية الثانية (فيما بين عامي 1815 و1939م)؛ فقد أصبحت اللغة الفرنسية بمثابة دعامة أساسية لنقل نمط الحياة الغربي الذي سرعان ما امتد

التداخل الواضح بين الفرنكوفونية والاستعمار والغرس الثقافي والتبشير ليس بحاجة إلى مزيد من الأدلة

.. وإحياء النزعة الأدبية الأفريقية والزنجية باللغة الفرنسية نوع من الاستدراج لتثبيت الفرنكوفونية

إلى مصر منذ ذلك الوقت، ومنذ عام 1815م امتد الاستعمار الفرنسي إلى أفريقيا تسانده بعثات التنصير ليبدأ بالسنغال، ثم الجزائر عام 1930م؛ حيث أصبحت الفرنسية هي لغة السلطة الحاكمة، ثم تمت السيطرة على الجابون، والكونغو، والسودان، والنيجر، وداهومي، وسرعان ما أخذت اللغة الفرنسية مكانتها المؤسسية في بلدان الساحل وأفريقيا الغربية والاستوائية.

وقد وصل اتساع الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في عام 1939م إلى مساحة 12 مليوناً من الكيلومترات، وضمت 68 مليوناً من البشر، وكانت تعد ثاني إمبراطورية استعمارية في العالم بعد الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية، إلا أنها بدأت تتصدع بفضل حركات التحرير ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية، أما هذه المستعمرات الشاسعة فقد بدأ تكوينها اعتماداً على دعامتين أساسيتين تواكبان الأحداث السياسية والعسكرية، وهما التجارة والبعثات التنصيرية.

● هل يعني ذلك أن هذه القوة الناعمة لم تفقد مكانها بعد انتهاء الاستعمار بشكله التقليدي؟

– نعم، فمنذ أن فقدت فرنسا مكان الصدارة كقوة عظمى في أوروبا انتقلت هذه الزعامة إلى اللغة الفرنسية وآدابها، وهو ما يوضح سر تمسك فرنسا بما تبقى لها من مستعمرات، حتى وإن كانت قد تحررت عسكرياً، كما يوضح سر اهتمامها بالجزائر خاصة؛ فمما له مغزاه أن تضع فرنسا احتلال الجزائر تحت إمرة وزير الداخلية الفرنسية، بينما كانت كل من تونس والمغرب تحت إمرة وزير الخارجية الفرنسية، ويرجع تمسك فرنسا بالجزائر حتى يومنا هذا إلى أنها بمثابة المدخل الحيوي الأرضي لمستعمراتها في غرب أفريقيا.

● نعود إلى مصطلح «الفرنكوفونية» كتجلٍ لهذا التاريخ، ما حقيقته؟

– الفرنكوفونية مصطلح اشتقه الجغرافي الفرنسي «أونيزيم ركلوس» عام 1871م، وهو مكون من مقطعين: فرنكو (من فرنسا)، وفوني (من صوت)، ونادراً ما تصادف هذا المصطلح قبل عام 1930م رغم اشتقاقه عام 1871م، إلا أنه أخذ في الانتشار منذ عام 1960م، وقد تم انتشاره

ورقة مسيحيي الشرق هي الأهم وكلمة السر في التدخل الغربي بالمنطقة

رغم أن مسيحيي الشرق أقلية في بلدانهم فإنهم يمثلون المنافذ الفعلية للفاتيكان داخلها

عام 1962م عندما بدأت فرنسا إحياء النزعة الأدبية الأفريقية لبعض حكامها كالزعيم سنجور، أو حمامي دوري، أو بورقيبة، أو بعض الحكام الآسيويين كالزعيم سيرمانوك؛ إذ أفردت مجلة «إسبري» عدداً خاصاً عن اللغة الفرنسية والمتحدثين بها وآدابهم، وانطلقت الكلمة.

كما بدأ تكوين جمعيات وتخصيص اعتمادات لمختلف وسائل الإعلام الفرنسية، وإنشاء الجامعات المتحدثة بالفرنسية أو تلك التي تحتل الفرنسية فيها مكانة واضحة، وإنشاء العديد من المنظمات ومنها منظمة «الأوبلف» عام 1966م، ووكالة التعاون الثقافي والتقني في بلدة ثايومي عام 1969م التي تضم في عضويتها 41 دولة، والأمر الذي يوضح مدى أهمية الفرنكوفونية ولواحقها بالنسبة لفرنسا هو قيام الحكومة الفرنسية عام 1984م بإنشاء مجلس أعلى للفرنكوفونية، وفي عام 1988م قامت بإنشاء وزارة للفرنكوفونية، ومنذ عام 1971م كانت فرنسا قد وحدت كل الكنائس الفرنكوفونية في مستعمراتها السابقة والحالية لتتمكن من التصدي لما يطلقون عليه اليوم «الديانات غير المسيحية».

ويوضح إحصاء عام 1992م أن هناك 200 مليون نسمة يتحدثون باللغة الفرنسية، أي أن هذه اللغة لم تعد مقصورة على الشعب الفرنسي، بل إن الفرنسيين أنفسهم أصبحوا يمثلون أقلية صغرى بين المتحدثين بلغتهم!

● هذا يعني أن انتشار اللغة أصل في بسط النفوذ سياسياً واقتصادياً ودينياً حتى؟

– بالطبع، فاللغة الفرنسية دعامة أساسية لنقل نمط الحياة الغربي الفرنسي؛ والاستعمار السياسي والاقتصادي والتبشير قائم على اللغة التي هي هنا الفرنكوفونية؛ وفرنسا تتزعم فرض الكاثوليكية رغم زعمها العلمانية وفصل الدين عن الدولة؛ وإحياء النزعة الأدبية الأفريقية والزنجية باللغة الفرنسية هو نوع من الاستدراج لتثبيت الفرنكوفونية، وقد بدأت بتشجيع بعض الحكام والزعماء ليكونوا قدوة لشعوبهم؛ وإنشاء ترسانة من الجامعات الفرنسية خارج أراضيها والخاضعة لنفوذها مثل «جامعة سنجور» بالإسكندرية، وإنشاء منظمات ووكالات لتدعيمها؛ وتتويج هذه الترسانة بمجلس أعلى ثم بوزارة دليل صارخ على معنى الفرنكوفونية ومغزاها وأهدافها.

وهنا نؤكد أيضاً أن التداخل الواضح بين الفرنكوفونية والاستعمار والغرس الثقافي المخطط والتبشير ليس بحاجة إلى مزيد من الأدلة؛ وليس من المبالغ فيه تعريف الفرنكوفونية بأنها بمثابة الآلة الحربية التي تساعد فرنسا على الاحتفاظ بمستعمراتها؛ فإن الاستعمار لا يتخلى أبداً عن المجال الثقافي حتى وإن تخلى عن الأرض المحتلة، وإنه يتصدى للدين على أنه أكبر قوى يمكنها تجميع الشعب أو الشعوب، وهو ما نراه يتم حالياً بصورة علنية أو شبه علنية من حيث محاولة اقتلاع الإسلام بفعل مخطط الفرنكوفونية من جهة، وبفعل القرار الذي تم اتخاذه في المجمع الفاتيكاني الثاني عام 1965م لاقتلاع الإسلام في عقد التسعينيات حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم.

فإذا ما تذكرنا أن معظم البلدان التي احتلتها فرنسا بلدان إسلامية أو وثنية، وأن الوثنية لا تعنيها في كثير أو قليل؛ لأنها تقوم بتنصير أتباعها بشتى الوسائل، لأدركنا خلفيات كثيرة غائبة أو مغيبة، ولأدركنا ضرورة وأهمية المطالبة بالحقوق الاقتصادية والثقافية والدينية والعدالة الاجتماعية، ولأدركنا أهمية وضرورة أن نتمسك بإسلامنا، وألا نعاون على اقتلاعه عن المنبع كما يتم حالياً بشتى المسميات، وخاصة ضرورة المطالبة بأن يقتصر تعليم اللغة الفرنسية بحيث تظل لغة تعامل إنساني متكافئ المستويات، والأكثر أهمية من هذا وذاك أن نكف عن تنفيذ مخططات الفرنكوفونية بأيدينا.■

www.mugtama.com

من «نابليون» إلى «ماكرون».. تجديد الغزو الفرنسي للشرق الإسلامي

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

إن ما أعلنه الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون»، والصور التي التقطت معه، خلال زيارته الأخيرة لبيروت، تدعو العقل العربي المعاصر إلى إعادة استدعاء التفكير في الحملة الفرنسية على الشرق الإسلامي (1798م)، التي جاءت -في إعلانها الرسمي- مشابهة لحديث «ماكرون» المعاصر، وهو إنقاذ الشعب العربي والإسهام في حل أزمته المجتمعية والحضارية، وتخليصه من الفساد الذي أحدثه المماليك في بلدهم!

وتأتي هذه المقالة لإثارة تفكير العقل العربي -خصوصاً الأجيال الشابة منه- في التاريخ العربي الفرنسي الحديث، من خلال العروج على بعض جوانب الأصول الفكرية لتاريخ الحملة الفرنسية على الشرق الإسلامي في ضوء زيارة «ماكرون» المريبة والمثيرة للتساؤلات.

الاحتكاك بين المسلمين والغرب بدأ بالحملة الفرنسية وهو ما يعد عصر نهضة للغرب وجمود عند المسلمين

الفرنسيون من خلال قراءتهم للحضارة الإسلامية والتاريخ الإنساني فطنوا لدور الفكرة وأثرها في التغيير

جاء في كلمة «ماكرون» أن الانفجار صورة لأزمة لبنان الحالية، وقال: إن هناك حاجة إلى نظام سياسي جديد، وأضاف أن التمويل متاح للبلاد لكن يتعين على قادتها تنفيذ الإصلاحات أولاً.

أما «نابليون بونابرت»، قائد الحملة الفرنسية الأولى على الشرق الإسلامي من مدخل مصر (1798م)، فقد أعلن في منشوره الأول احترامه وتقديره للمصريين أكثر مما يحترمهم المماليك، و«إنني أكثر من المماليك احتراماً لله ونبيه وللقرآن، وإن الفرنسيين أصدقاء للمسلمين الصادقين، وإن الله قد حكم على انقضاء دولتهم (أي المماليك)، وإن المصريين بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله تعالى عند زوال تلك الدولة»[1]!

وقد وجه «نابليون» حديثه في الفئات الشعبية (المصريين عامة، وكذلك النخب من الأئمة والقضاة والأعيان)، معلناً أن الفرنسيين ما جاؤوا إلا لغاية واحدة؛ وهي «تخليص حق المصريين من يد الظالمين» (أي المماليك)، ثم ترغيب المصريين إذا قبلوا دخول الفرنسيين بود ومساعدة لهم أن يدخلوا في المناصب السامية ويكتسبوا المراتب العالية.

الأمر يدعو إذن إلى إعادة التفكير وتجديد الأصول الفكرية للحملة الفرنسية الأولى على الشرق الإسلامي؛ لنسحب منها بعض الأحكام والتعميمات على الحملة الفرنسية المعاصرة على الشرق أيضاً، لكن هذه المرة من مرفأ لبنان.

الأصول الفكرية للحملة الفرنسية

بدأ الاحتكاك بين المسلمين والغرب في العصر الحديث بالحملة الفرنسية (1798-1801م)، وهو العصر الذي بدأ ببزوغ عصر النهضة الأوروبية والتخطيط الاستعماري الغربي للعالم الإسلامي، وهذا العصر يقابله عند المسلمين حصاد الجمود والتقليد والترف، وغياب الاجتهاد وتوقف التطور الذاتي، وضعف شبكة علاقاته الاجتماعية وتفسخها في ظلال الضعف العام الذي لحق بدولة الخلافة العثمانية (1299-1924م)، وضعف حركة الإصلاح الذاتي لمعالجة الآفات الموروثة.

وبينما كان هناك نظر إسلامي يترقب تمهيدات النهضة الأوروبية في موقع الخلافة بتركيا، ويحاول الاقتراب أو بالأحرى استيراد جوانب من التطور الحادث، كان رد الفعل الغربي عنيفاً جداً في أطراف الخلافة وقلبها، التي بدأت في العالم العربي بمدافع «نابليون» على القاهرة، وخيوله في الأزهر الشريف، وصاحب هذه المدافع أقلام ومطابع الاحتلال وأفكاره؛ ففي حين كانت «الفكرة»

تغيب في المجتمع الإسلامي وتتراجع مكانتها، جاءت «الفكرة الفرنسية» لتحل محل «الفكرة الإسلامية».

لقد فطن الفرنسيون من خلال قراءتهم للحضارة الإسلامية والتاريخ الإنساني لدور الفكرة وأثرها العميق في التغيير؛ لذلك فإن رمزية المطبعة والأوراق والعلماء في حملة «نابليون بونابرت» (1769-1821م) على مصر والشام لا تخلو من معنى عميق يستبطن في داخله ارتفاع قيمة الفكرة في المجتمع الأوروبي الاستعماري الجديد، في مقابل تراجع تلك القيمة في المجتمع الإسلامي الحضاري، وهو ما يعني أيضاً أن القادم ليس مجرد مدافع وهيمنة عسكرية وسياسية وتقسيم غنائم ونهب مواد خام، وفتح أسواق استهلاكية جديدة، وذلك ما تعلمه العربي في برنامجه التربوي والتعليمي وهو حق ولكنه ليس وحده، بل هناك أيضاً استهداف لعقل الإنسان ووجدانه؛ أي «الإنسان المُستعمَر» الذي يخلف الاستعمار عند الرحيل، ويقدم له خدماته دون مقابل أو بمقابل بخس، ويستمر الاستعمار على يد هذا الإنسان المحتل (المُستعمَر)، وهذا ما تنبه إليه الاستعمار الفرنسي، رائد الاستعمار على الشرق الإسلامي.

إن النظر الأولي لبدايات الاتصال أو الغزو بمعناه الواقعي التاريخي يظهر لنا عمق النظرة التي امتلكها العقل الاستعماري حيال الشرق والإسلام، ويظهر ذلك في أدواته التي استخدمها في هذا الغزو الحضاري والتبديل التاريخي لعلاقات الأمم والشعوب، كما يظهر أيضاً في استجابة الأدوات الداخلية الذاتية لتلك الشعوب نحو أهداف الاستعمار الفكرية والثقافية المرئية منها وغير المرئية.

كانت الحملة الفرنسية (1798-1801م) أولى موجات الصدام بين الغرب والمسلمين، وهي أقدم موجات الاستعمار الأوروبي، كما أنه (الصدام) كان أسوأه وأقساه بما مهد به لاحتلال الشرق معرفياً وفكرياً، والإسهام في تفاقم إشكالاته الحضارية التي كان يعاني منها، حيث أرسى أعمدة القطيعة التاريخية والحضارية بين المسلمين وتراثهم الفكري والعقدي، وتغلغل في الحياة الاجتماعية بصورة مثلت الريادة للاحتلال الأوروبي والهيمنة الثقافية وتأكيد مشروع التغريب الثقافي.

إن بدايات التغريب الأولى في مصر والعالم الإسلامي بدأت بهذه الموجة الاستعمارية -الحملة الفرنسية- وإذا كنا نشكو من اختراق القانون الغربي لمناطق سيادة الشريعة الإسلامية منذ تسلل هذا القانون -في النصف الثاني من القرن التاسع عشر- إلى «المحاكم القنصلية» ثم إلى «المحاكم المختلطة»، ثم تمددت يده إلى القضاء الأهلي على يد الاستعمار الإنجليزي وفي سلطان اللورد «كرومر» (1841-1971م) منذ عام 1883م، إن بواكير هذا الاختراق الذي داهم شريعتنا وفقهنا الوطني، حتى أجلاها عن أغلب ميادين التشريع والقضاء في بلداننا الإسلامية، إن بواكير هذا الاختراق قد كانت من آثار الحملة الفرنسية على مصر.

لقد كان مخطط المشروع الفرنسي هو تفتيت الأمة، وعلمنة الإسلام، وفرنسة اللغة، وإحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتها، وبذلك تندمج العادات والأعراف الأصيلة في المجتمع الإسلامي بالقانون الفرنسي، وهو ما طبقته سلطات الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي[2].

إن المطبعة التي جاء بها الاستعمار الفرنسي -التي روَّج لها التغريبيون الأوائل- إنما جاءت لإحكام السيطرة على المصريين، وهي ترسم نموذجاً مخططاً للهيمنة على عقل ووجدان الإنسان في العصر الحديث، استخدمت الحملة المطبعة في المنشورات التي توجهها إلى المصريين لتزييف غايات الاحتلال وتزيينه، وكان أول هذه المنشورات ما وجهه «نابليون» إلى الشعب المصري مدعياً فيه أنه جاء مخلصاً لهم من الظلم، وحافظاً للملة من الضياع، ومحدثاً دولتهم من التخلف.

«نابليون» اصطنع التناقض والخلاف بين المصريين والمماليك والتنبيه إلى سلطة المماليك المستبدة!

ويشير محمد سيد محمد إلى أهم المضامين -التي لم يذكرها المنشور- على وجهها الحقيقي، وذلك من خلال تحليل مضمونه وأهدافه برؤية إعلامية بصفته إعلام المستعمِر لشعب مستعمَر، وكانت نتائج هذا التحليل الكيفي هي[3]:

1 - اصطناع التناقض والخلاف بين المصريين والمماليك، والتنبيه المستمر إلى سلطة المماليك المستبدة الظالمة، الطامعة الفاشلة التي يشكل استمرارها مصدر خطر على مصالح المصريين.

2 - الترويج للحكم الفرنسي للبلاد، ودعوة الناس إلى قبوله باعتباره الأساس الذي يضمن معه إنهاء استبداد المماليك وتخليص البلاد من فسادهم، وفي المقابل يُظهر الفرنسيين بأنهم القوة المخلصة التي تحرر البلاد.

3 - تعزيز موقفهم بالبحث عن السبيل الذي يكفل التنويم السيكولوجي للجماهير، بالاستناد إلى شرعية دينية تكفل هذا التعزيز، ومؤداها أنهم قوة مرسلة من الله بهدف إنقاذ البلاد وتخليصها من حكم المماليك.

4 - الحرص على قتل روح المقاومة في نفوس المصريين من خلال الإيحاء بأن الحرب بينهم وبين المماليك وليست بينهم وبين المصريين، ومن الواجب على المصريين أن يبتعدوا عن هذه المواجهة، وفي هذا الابتعاد خير لهم ومصلحة وعلو في الرتب.

5 - التوجه إلى القوى المؤثرة في حركة المجتمع التي يسهم بعضها في تشكيل الرأي العام، فمرة يخاطب المشايخ والقضاة، ومرة يخاطب الأئمة والعلماء، من أجل تقديم صورة إيجابية لهم عند الشعب.

كانت هذه خطة فكرية عامة حاول الاستعمار الفرنسي أن ينفذها في مصر كما حاول في الجزائر، وكانت له نجاحات لا نستطيع إنكارها.■

الهوامش

(1) محمد سيد محمد: الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص183.

(2) محمد عمارة: «الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال»، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، عدد (91)، أبريل 1999، ص34.

(3) محمد سيد محمد: مرجع سابق، ص187.

www.mugtama.com

مواجهة الإسلام و«العثمانية الجديدة» (على حد زعمها)

دوافع فرنسا للهيمنة على المنطقة العربية

في 9 يوليو 2020م، أصدر مجلس الشيوخ الفرنسي تقريراً برلمانياً تضمن توصيات تحذر من تنامي الحركات الإسلامية، خصوصاً جماعة الإخوان المسلمين في أوروبا، وأوصى بتطبيق نحو 40 توصية لقمع ما أسماه «التشدد والإسلام الأصولي»، وأكدت «جاكلين أوستاش برينيو»، كاتبة التقرير وعضو مجلس الشيوخ الفرنسي، ضرورة منع قيادات الإخوان والتيارات الإسلامية النشطة من دخول فرنسا وأوروبا.

تزامن هذا مع قيادة الرئيس الفرنسي «ماكرون» حملة على الإسلام والحركات الإسلامية في فرنسا والدول العربية، ضمن خطته لإلهاء الفرنسيين والتخلص من الاحتجاجات والضغوط الاقتصادية التي تواجه نظامه، ومحاولة تغيير وجهة المطالبات بالإصلاح الداخلي عبر انتهاج سياسة معادية للإسلام يستميل فيها تيارات اليمين المتطرف.

يوسف أحمد

جاءت رحلات الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» المتكررة إلى لبنان والعراق، وتعزيز الوجود العسكري البحري الفرنسي في شرق البحر المتوسط، ضمن محاولات فرنسا إحياء حلم عودة الهيمنة على المنطقة العربية والإسلامية، وشجعه مطالبة عفوية من لبنانيين غاضبين على فساد ساستهم بعودة الاحتلال (الانتداب) الفرنسي للبنان.

وشجع «ماكرون» على المضي في حلمه أيضاً، تراجع النفوذ الأمريكي في المنطقة، وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وتقوقعها داخلياً، فقدم نفسه على أنه القيادي الحامل للمشعل في المنطقة، حسبما قالت صحيفة «ديلي تلغراف».

تعزيز الوجود العسكري الفرنسي شرق المتوسط يأتي ضمن محاولاتها إحياء حلم الهيمنة على المنطقة العربية

«فورين بوليسي»: النفوذ التركي بالمنطقة العربية أحد دوافع فرنسا لتجديد حلم العودة للمنطقة للحفاظ على مصالحها

وأشار تحليل لمجلة «فورين بوليسي» الأمريكية إلى رغبة فرنسا في إعادة تشكيل المنطقة، ورغبة «ماكرون» أن يكون قوة عظمى في الشرق الأوسط، لكنها نقلت عن خبراء علاقات دولية أن محاولاته «ستفشل».

وقالت «فورين بوليسي»: إن النفوذ التركي وعودة «العثمانية الإسلامية» للمنطقة العربية -بجانب اللاجئين والطاقة- كانت أحد أبرز ثلاثة أسباب أزعجت باريس، ودفعتها لتجديد هذا الحلم بالعودة للمنطقة للحفاظ على مصالحها.

حلم استعماري يصطدم بالإسلام

دفع العداء للإسلام والقلق من موجة «ربيع عربي» ثانية (يرى كثير من الخبراء أنه سيكون ربيعاً «إسلامياً»)، وكذا إفشال تركيا أدوار فرنسا التقليدية في المنطقة العربية (ليبيا وتونس) وأفريقيا (مالي والنيجر والجزائر)، كل هذا دفع باريس لتعزيز حلمها بالعودة للهيمنة للمنطقة بالتحالف مع حلف «الثورة المضادة» العربي من جهة، ومحاولة حصار تركيا في البحر المتوسط بتحالفات أوروبية وعربية من جهة أخرى؛ إذ تتبنى باريس رؤية مسيحية تاريخية متطرفة في التعامل مع تركيا، فقد كانت أبرز الرافضين لدخول تركيا الاتحاد الأوروبي، والتأكيد أنه يجب أن يظل نادياً من البلدان ذات الغالبية المسيحية، كما أنها تخشى من تغلغل النفوذ التركي الإسلامي في مستعمراتها السابقة بما يحرمها، ليس فقط من النفوذ، لكن من موارد هذه المستعمرات التي تعيش عليها فرنسا.

ففرنسا من أكثر الدول تدخلاً عسكرياً في القارة الأفريقية، للحفاظ على النفوذ في المستعمرات السابقة، وتسعى لاستغلال عباءة مكافحة الإرهاب لتبرير تدخلها وتحقيق مصالحها، وهو ما اصطدم بنفوذ تركي متعاظم في نفس مناطق النفوذ الفرنسية.

إذ تضع فرنسا أعينها على الذهب في مالي، التي تعد ثالث أكبر منتج للذهب في أفريقيا، وكذلك على ما تمتلكه هذه الدولة الإسلامية من ثروة ضخمة من النفط والغاز، وأيضاً في النيجر حيث يزود ثلث اليورانيوم في مناجمها المفاعلات النووية الفرنسية.

وقد طرحت صحيفة «مونيتور» الأمريكية تساؤلاً حول: هل تطيح تركيا بالنفوذ الفرنسي في مالي بعدما ضجر شعبها من سياسات «ماكرون»، وأدى الإمام «محمود ديكو»، المعادي للنفوذ الفرنسي، دوراً في كشف دور فرنسا بدعم الفساد في البلاد ومن ثم التغيير الذي حدث؟

وتساءلت الصحيفة الأمريكية عن الدور التركي في انقلاب مالي ضد الرئيس الموالي لفرنسا، وتواصل تركيا السريع مع صنّاع الانقلاب الأخير، وهل للأمر علاقة بين التنافس المستمر بين تركيا وفرنسا؟ وهل تستطيع تركيا أن تأخذ مكان النفوذ الفرنسي

في مالي؟ حيث زار وزير الخارجية التركي «مولود جاويش أوغلو» المستعمرة الفرنسية السابقة، في 10 سبتمبر الماضي، قبل زوال الغبار عن الانقلاب الذي وقع قبلها بفترة قصيرة، في 18 أغسطس الماضي، والتقى «أوغلو» بأعضاء «اللجنة الوطنية لإنقاذ الشعب» التي شكلها الانقلابيون.

كما أن علاقة الإمام «ديكو» بتركيا أفضل من علاقته بفرنسا، وسبق للرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» أن سخر في مقابلة سابقة من الرئيس الفرنسي «ماكرون» بسبب زيارته لمالي، قائلاً: «ما العمل الذي لديك هناك؟!»، مشيراً إلى أن 95% من سكان مالي من المسلمين.

فرنسا كانت أبرز الرافضين لدخول تركيا الاتحاد الأوروبي وتخشى من تغلغل نفوذها الإسلامي بمستعمراتها السابقة

«العثمانية الجديدة» -على حد زعمها- تعتمد على التصالح مع الذات الحضارية الإسلامية والانفتاح على الغرب

القلق من «العثمانية الإسلامية»

حين سعى «ماكرون» للعودة إلى الشرق الأوسط وتصادم بتركيا، قال بوضوح لمجلة «باري ماتش»، في أغسطس الماضي: إن سياسات «أردوغان» «قومية إسلامية»، وتحدث ضمناً عن مخاطر عودة «العثمانية الإسلامية» لتهيمن على البحر المتوسط كما كانت تفعل بحرية الإمبراطورية العثمانية، وهو ما رد عليه «أردوغان» بالحديث عن سِجِل فرنسا الاستعماري الذي تسعى لاستعادته الآن على يد «ماكرون».

ولأن منطقة شرق البحر المتوسط كانت تمثل منطقة نفوذ فرنسية تقليدية، وتحالف فرنسي مصري يوناني قبرصي حالي، يسعى لحصار تركيا في حدودها القديمة الضيقة التي وضعتها معاهدة «سيفر» التي فُرضت على الإمبراطورية العثمانية، في 10 أغسطس 1920م، ومهدت الطريق لإعادة تشكيل الشرق الأوسط لصالح القوى الاستعمارية الغربية، فقد أقلق الفرنسيين بشدة سعيُ تركيا للتخلص من تبعات هذه المعاهدة، واستعادة حلم الإمبراطورية العثمانية بالمقابل.

حيث تعتمد «العثمانية الجديدة» على ثلاثة مرتكزات:

أولها: أن تتصالح تركيا مع ذاتها الحضارية الإسلامية بسلام وتعتز بماضيها الإسلامي متعدد الثقافات والأعراق، ومن ثم توثق روابطها مع العالم العربي والإسلامي.

ثانيها: استبطان حسّ العظمة والكبرياء العثماني والثقة بالنفس عند التصرُّف في السياسة الخارجية، والتخلص من الشعور بالضعف أو بالنقص تجاه الآخرين.

ثالثها: الاستمرار في الانفتاح على الغرب مع تقوية العلاقات مع الشرق الإسلامي؛ إذ إن أنصار «العثمانية الجديدة» يرون أن الحاجة لنقد الماضي العثماني بمرارة لم تعد قائمة مثلما كانت في العقود الأولى لتأسيس الجمهورية.

وقد زاد قلق باريس بعدما ربحت تركيا معركة ليبيا بسهولة، وأجهضت خطط فرنسا ومصر لتثبيت الانقلابي خليفة حفتر قائداً لليبيا بالسلاح، لو احتل طرابلس، وتقدمت لتفرض معادلات جديدة في البحر المتوسط بالتنقيب عن النفط وعدم الاعتراف بقيود معاهدات الحقبة الاستعمارية التي أعقبت سقوط دولة الخلافة الإسلامية.

العداء للإسلام بالتالي هو ما يحرك باريس و«ماكرون» بشكل أساسي بحثاً عن إعادة إحياء الدور الاستعماري الفرنسي في المنطقة العربية والإسلامية، ولأن تركيا تتصدى لهذه العودة، ويهيمن عليها نظام يتبنى بالمقابل إحياء «العثمانية الإسلامية» بشكل أكثر حداثة وقوة، فقد بدأت المعركة تأخذ طابع الصراع الحضاري والتاريخي، وتتحول أحلام فرنسا الاستعمارية تدريجياً إلى سراب.■

اللغة.. الباب الواسع الذي استهدفت منه فرنسا الهوية العربية

تقرير- إسلام فرحات:

المتتبع لتواريخ نشأة الفرنكوفونية وتطورها يتأكد أنها الوجه الآخر للاستعمار وفرض الهوية والتبعية للحضارة الفرنسية من خلال بابها الواسع وهو اللغة، وأن بداية الفرنكوفونية وظهورها للنور بشكلها المعروف في فترة خروج فرنسا من مستعمراتها ليس مصادفة، بل هو الخطة الاستعمارية البديلة عن الاستعمار المباشر الذي أسست له فرنسا بعد دحرها على يد المقاومة المسلحة.

في دوريته الشهيرة، بتاريخ 16 يونيو 1921م، إلى ضباط المخابرات ورؤساء المناطق العسكرية والمدنية المغربية، يقول الجنرال «ليوطي»: «ليس علينا أن نعلم العربية لمجموعات من الناس استغنوا عنها دائماً (في إشارة إلى البربر)، إن العربية عنصر أسلمة لكونها لغة القرآن؛ أما مصلحتنا فتفرض علينا أن نجعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام، ومن الوجهة اللسانية علينا أن ننزع إلى المرور مباشرة من البربرية إلى الفرنسية، ولهذا نحتاج إلى عارفين بالبربرية، ويتوجب على ضباط مخابراتنا أن ينكبُّوا بعزم على دراسة اللهجات البربرية، كما يلزم خلق مدارس فرنكو-بربرية حيث نعلم الفرنسية للبربر الشباب».

وفي فبراير 2018م، وقف الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» في العاصمة التونسية قائلاً: «إن تونس ستكون خلال سنتين قاعدة جديدة لتعليم اللغة الفرنسية، وسوف تساعد الفرنكوفونية التونسيين والتونسيات على النجاح في عدة مجالات وفي دول مختلفة».

وأضاف أن الفرنكوفونية ليست مشروعاً قديماً، بل هي مشروع مستقبلي، فتحدث اللغة الفرنسية تعد فرصة حقيقية، على المستويات اللغوية والاقتصادية والثقافية، وقال: أتمنى أن تحيا الفرنكوفونية في بلادكم، محدداً هدف مضاعفة عدد متعلمي الفرنسية خلال سنتين (أي حتى عام 2020م، وهو موعد انعقاد قمة الفرنكوفونية بتونس التي كان مقرراً لها ديسمبر المقبل، وتم تأجيلها بسبب جائحة «كورونا»).

اللغة واقتلاع الهوية

اللغة إذن هي الباب الواسع الذي دخلت منه الفرنكوفونية مستهدفة أحد أهم مفاتيح الهوية العربية والإسلامية وغيرها من الهويات التي تحاول فرنسا اقتلاعها وتثبيت ما تريده من هوية غربية ذات طابع فرنسي.

وفي ذلك يقول يقول د. عمر النمري، في مقال له بعنوان «الفرنكوفونية استعمارٌ أم استخرابٌ؟»: «لا شك عندي في أن الفرنكوفونية إنما استهدفت تنحية اللغة العربية، ومن ثم استبعاد الثقافة الأصلية للشعوب المستعمَرة؛ لا بل استبعاد الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية لهذه الشعوب؛ ولا سيما أن أغلب الشعوب الأفريقية تدين بالإسلام وتنتسب إلى الحضارة الإسلامية؛ وذلك بهدف إحلال الفرنسية محلها وتحقيق الإلحاق الثقافي والحضاري، لا بل الإلحاق الجغرافي أيضاً كعزمهم السابق على إلحاق الجزائر بالقطر الفرنسي».

ويقول «بول مارتي»، في كتابه «مغرب الغد» (ص 338): «.. إن كل تعليم للعربية، وكل تدخل من الفقيه، وكل وجود إسلامي، سوف يتم إبعاده بكل قوة؛ وبذلك نجذب إلينا الأطفال الشلوح (البربر) عن طريق مدرستنا

«ماكرون»: الفرنكوفونية مشروع مستقبلي وتحدُّث الفرنسية فرصة حقيقية لغوياً واقتصادياً وثقافياً

www.mugtama.com

جنداري: استهداف اللغة كهدف رئيس للفرنكوفونية لم يأت عبثاً بل كان ضمن مخطط شديد الخبث لتوليد أجيال بعيدة عن مفردات دينها

وحدها، ونبعد متعمدين، كل مرحلةٍ من مراحل نشر الإسلام».

ويقول «دي روفيكو»: «إني أنظر إلى نشر تعليمنا ولغتنا كأنجع وسيلةٍ لجعل سيطرتنا في هذا القطر (الجزائر) تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية؛ فالفرنسية تقدر على الانتشار بين السكان خصوصاً إذا أقبل الجيل الجديد على مدارسنا أفواجاً أفواجاً».

المهمة الصعبة

هناك إذن وعي لدى الفرنسيين بمدى أهمية اللغة كباب يسهل من خلاله الدخول للسيطرة على العقول، وقد بدا ذلك الوعي حاضراً لدى بعضهم منذ عصر الاستعمار، حيث يقول مثلاً «جورج هاري»، مدير التعليم في المغرب خلال الفترة الاستعمارية: «إن انتصار السلاح لا يعني النصر الكامل؛ إن القوة تبني الإمبراطوريات، ولكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار والدوام، إن الرؤوس تنحني أمام المدافع؛ في حين تظل القلوب تغذي نار الحقد والرغبة في الانتقام، يجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان، وإذا كانت هذه المهمة أقل صخباً من الأولى؛ فإنها صعبة مثلها، وهي تتطلب في الغالب وقتاً أطول».

ويعلق د. إدريس جنداري على ذلك قائلاً: «وإذا كان إخضاع النفوس والعقول خلال المرحلة الاستعمارية مرتبطاً بإخضاع الأجساد عبر السلاح؛ فإن اضطرار فرنسا إلى الانسحاب على وقع ضربات المقاومة؛ سيبطل الآلية الثانية؛ وفي الوقت نفسه سيفتح المجال أمام تضخم الآلية الأولى التي تعتمد الثقافة واللغة كأداة للسيطرة، وتغيير الهوية.

إذن استهداف اللغة كهدف رئيس للفرنكوفونية لم يأت عبثاً، بل كان ضمن مخطط شديد الخبث في محاولة توليد أجيال بعيدة عن مفردات دينها التي تعتبر اللغة هي الوعاء الحامل لها».

هناك دراسة استقرائية لحضور اللغة الفرنسية (أداة الفرنكوفونية) في العالم العربي لأستاذة الأدب المعاصر بجامعة القديس يوسف، كاتيا حداد، ضمن أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية والمنظمة الدولية للفرنكوفونية ومعهد العالم العربي بباريس، 31 - 30 مايو 2000م، إصدار «الإيسيسكو».

وقد أكدت الدراسة أمرين مهمين:

الأول: يرتبط بتراجع حضور اللغة الفرنسية في مجموع هذه الدول كلغة التواصل اليومي كما كان الأمر أثناء الاستعمار؛ «فقد مضى عهد كان فيه حضور اللغة الفرنسية أكثر تنوعاً، حيث كانت الفرنسية تجوب الشوارع؛ مما يعني أنها لم تكن محصورة في حيز المدرسة».

الثاني: وفي مقابل تراجع اللغة الفرنسية كلغة للتواصل اليومي، فإنها تعوض هذا التراجع عبر حضور كثيف في المدارس، كلغة أساسية في مناهج التعليم، وذلك باعتبارها أصبحت تقترن (من منظور الاستلاب اللغوي) بمؤشر من مؤشرات التنمية المتمثل في المدرسة.

ولذلك، تؤكد حداد أن تعلم الفرنسية في المدرسة قد يكون بمثابة استثمار على المدى البعيد، وتفسر ذلك باعتبار أن من يتعلم اللغة في المدرسة خليق أن يحافظ عليها فيما بعد؛ بحيث تصاحبه مدى حياته.

ومن خلال هذه الدراسة الاستقرائية يثبت بالأرقام الهيمنة التي أصبحت تمارسها اللغة الفرنسية في مجموعة من الدول العربية، فهي تخترق مؤسسات التعليم، باعتبارها لغة العلم والمعرفة الحديثة، في زمن لجأت فيه المؤسسات الأكاديمية الفرنسية نفسها إلى اللغة الإنجليزية!

وهذا الأمر -كما يرى د. إدريس الجندري- أكثر من محير، ويثبت بالملموس أن اللغة الفرنسية في هذه الدول ليست اختياراً بيداغوجياً يرتبط بمناهج التعليم؛ لأن هذه اللغة تثبت الآن أنها غير قادرة على مسايرة التطور العلمي الحاصل باللغة الإنجليزية، بل حتى باللغتين الصينية والألمانية وبعض اللغات الحية الأخرى.

تقول حداد: «وقد أتاحت لنا الدراسة الاستقرائية التي قمنا بها إبراز حقيقة أن الفرنكوفونية المدرسية تقدمت خلال العقد الأخير ولم تتأخر، وكان من أسباب هذا التطور انحسار تيار التعريب من المناهج الدراسية، فقد شهد العقد الأخير إعادة إدراج اللغة الفرنسية أو تقويتها في البرامج الدراسية بدرجات متفاوتة، وذلك في البلدان الآتية: تونس والمغرب وسورية ومصر، وفي لبنان، تم اعتماد مبدأ الازدواجية اللغوية المبكرة على مستوى الدولة، وهو مبدأ جاء ليزكي اختيارات السكان اللغوية، ويضفي طابعاً رسمياً على مكانة اللغات الأجنبية، وبخاصة مكانة اللغة الفرنسية، وكان هذا الإجراء أول سابقة من نوعها في هذا البلد».

إن ما يفسر هذا الحضور القوي للغة الفرنسية ضمن مناهج التدريس في مجموعة من الدول العربية يرتبط في العمق بأبعاد أيديولوجية ومصلحية، ترتبط بالهيمنة التي أصبحت تمارسها الفرنكوفونية على مستعمرات فرنسا السابقة؛ من خلال الحضور القوي للوبي الفرنكوفوني، الذي يتشكل من نخب ثقافية وسياسية واقتصادية، لا يهمها سوى الحفاظ على مصالحها الخاصة في علاقتها بالمستعمر السابق الذي نسجت معه شبكة من المصالح؛ الأمر الذي يحول اللغة لديها إلى أيديولوجيا تتجاوز كل حدود المنطق.■

روفيكو»: نشر تعليمنا ولغتنا أنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في الجزائر تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية

حداد: الفرنكوفونية المدرسية تقدمت خلال العقد الأخير ولم تتأخر وذلك لانحسار تيار التعريب من المناهج الدراسية

القيادي بحركة مجتمع السلم الجزائرية ناصر حمدادوش لـ«المجتمع»:

فرنسا الرسمية الحالية هي امتداد للاستعمارية القديمة

يرى القيادي بحركة مجتمع السلم الجزائرية، ناصر حمدادوش، أن التحركات الفرنسية في الإقليم العربي، ووقوفها ضد تركيا في قضية التنقيب على النفط في حوض المتوسط، وما استتبعه من خلافات وملاسنات، مرده أساساً إلى السعي الفرنسي الحثيث وراء منابع الطاقة والنفوذ في المنطقة، متكئة في ذلك على رصيد كولونيالي دموي، وطموحات تغذيها الخلافات التاريخية والدينية مع العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى طموحها في أن تكون فاعلاً دولياً منافساً للقوى الكبرى الأخرى المهيمنة على هذه المنطقة.

وأكد في الحوار الذي أجرته معه «المجتمع» أن النفوذ الفرنسي لا يرجع بالضرورة إلى قوّة فرنسا الذّاتية، بقدر ما هو اتكالٌ على الرّصيد التاريخي السّابق، وارتهانُ الأنظمة غير الشّرعية لها، ووفاءُ نخبها وأدواتها المتنفّذة، مشيراً إلى أن نفوذ فرنسا الحالي ما هو إلا امتدادٌ للحنين التاريخي والأطماع الاستعمارية القديمة، في حرب استنزاف لما تزخر به مستعمراتها من ثروات وطاقات، لضخّها في اقتصادياتها وتلبية احتياجاتها وتغطية عجزها واختلالاتها.

حوار- عبدالعالي زواغي:

● ترمي فرنسا بكل ثقلها في العديد من الملفات العربية والإقليمية، ولا تبدي حرجاً في التدخل السافر بالشؤون الداخلية للبلدان العربية؛ فما مقدرات القوة التي تمتلكها حتى باتت تحاول التأثير والهيمنة بهذا الشكل المتنامي؟

– تشكّل المنطقة العربية والأفريقية منطقة حيوية وإستراتيجية لدى الدول الكولونيالية عموماً ولدى فرنسا خصوصاً، كما أنّ نفوذ فرنسا الحالي ما هو إلا امتدادٌ للحنين التاريخي والأطماع الاستعمارية القديمة، في حرب استنزاف لما تزخر به مستعمراتها من ثروات وطاقات، لضخّها في اقتصادياتها وتلبية احتياجاتها وتغطية عجزها واختلالاتها المالية والطاقوية.

وبالرّغم من تراجع النّفوذ الفرنسي تحت وطأة تغيّر موازين القوى الدولية، فإنّ فرنسا مستفيدة من تقاسم الدول الكبرى لمناطق النّفوذ والسيطرة، كما أنّ استقلال بعض هذه الدول كان استقلالاً مشروطاً بديمومة التعاون المالي والاقتصادي والثقافي معها، وهو ما شرعن لهذا النّفوذ والتّبعية.

ولذلك، فإنّ هذا النّفوذ الفرنسي لا يرجع بالضّرورة إلى قوّة فرنسا الذّاتية بقدر ما هو اتكالٌ على الرّصيد التاريخي السّابق، وارتهانُ الأنظمة غير الشّرعية لها، ووفاءُ نخبها وأدواتها المتنفّذة.

هناك تنافسٌ دولي يطعن في هذا النّفوذ الفرنسي ويهدّده، وهو ما يبقي على هذه الجذوة والحرارة في محاولات الحضور الإقليمي والدولي لها كشريك وكجزء من الهيمنة الدولية باسم عضويتها في الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي والعضوية الدائمة في مجلس الأمن.

● هل يمكن القول: إن فرنسا مدفوعة بحنين كولونيالي، وهي اليوم تعرف نشأة مستأنفة للروح الاستعمارية، التي تمكنت في السابق من احتلال العديد من البلدان العربية، وتكريس الانتداب على البعض الآخر؟

www.mugtama.com

– إنّ فرنسا المتهالكة حالياً بأزماتها الداخلية المتعدّدة، وهي المثقلة بأعباء الركود الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة والأزمات المالية المتتالية، وتراجع مكانتها الدولية، وتصاعد قوى إقليمية ودولية منافسة لها لا تستند إلى قوّتها، بل إلى ضعف هذه الدول العربية والأفريقية، فهي التي تمتدّ في ضعف الآخرين.

ولذلك تستثمر الآن في ذرائع جديدة للتدخّل والوجود، مثل: الإرهاب والهجرة غير الشّرعية والجريمة المنظمة..

وبالرّغم من التراجع في التواجد العسكري المباشر وفي النّفوذ السّياسي والاقتصادي، فإنّها تكابر من أجل الوجود بدوافع أمنية، أمام المنافسة الأمريكية والصّينية والتركية مؤخراً؛ لأنه لا تاريخ لفرنسا دون أفريقيا ومستعمراتها القديمة، كما أنها تريد صناعة تاريخ استعماري جديد على أنقاض الاستعمار التقليدي القديم.

● ما دلالة التوقيت الذي ظهرت فيه نوازع الهيمنة الفرنسية؟ وما دوافعها الإستراتيجية التي تقودها حالياً إلى التدخل في شؤون لبنان مثلاً، والاصطفاف عسكرياً مع اليونان ضد تركيا؟

– هناك عدّة دوافع إستراتيجية وحيوية لفرنسا في التدخّل، وهي مصالحها الأساسية؛ لأنّ الدول ليست جمعيات خيرية تتعامل بحسن النوايا، بل تقوم على المصالح الحيوية لها، وهي تختلف من بلد إلى آخر؛ ففي الوقت الذي تتستّر على أهدافها الخفيّة في التدخّل بأفريقيا، ومنها المصالح الاقتصادية، مثل بسط يدها على «اليورانيوم» في الصحراء الأفريقية وتحديداً في النيجر، إذ تعتمد عليه في تلبية نحو 75% من احتياجاتها من الكهرباء على الطاقة النووية، تتثمل مصالحها في لبنان وليبيا واحتكاكها مع تركيا واصطفافها مع اليونان في الصّراع من أجل الطاقة والنّفوذ في المنطقة، تغذّيها الخلفيات الدّينية والخلافات التاريخية.

● إلى أي مدى تتحمل النخب السياسية في البلدان العربية هذا الخضوع إلى الإملاءات الفرنسية؟ وهل يمكنها تحدي رغبتها في الهيمنة والسيطرة من جديد، خصوصاً أن تاريخها الاستعماري شاهد على جرائمها البربرية وحجم الخراب الهائل الذي خلفته وراءها؟

– المؤكد أنّ فرنسا الرّسمية الحالية هي امتدادٌ لفرنسا الاستعمارية القديمة، وهي لم تتحرّر بعدُ من فكرها الكولونيالي وعاداتها القديمة، ولذلك لا تزال تمجّد تلك الحقبة الاستدمارية، وترفض الاعتراف بجرائم الحرب والإبادة والجرائم ضدّ الإنسانية التي لطّخت تاريخها الأسود، ومنه ذلك التاريخ الدّموي الطويل في الجزائر، إذ بيننا وبينها بحار من الدّماء وجبال من الجماجم.

ولا يمكن القضاء على هذا الإرث المثقل بالمآسي إلا إذا استعادت هذه الدول استقلالها التام وسيادتها الكاملة، وذلك بإرادة شعوبها الحرّة، وعبر تلازم الديمقراطية الحقيقية بالتنمية الفعلية، وهو ما يغلق كلّ أبواب النّفوذ والهيمنة والتبعية وانتهاك الخصوصية.

وعلى الشّعوب الحرّة والنّخب الشّريفة أن تحرّر بلدانها من هذا النّوع من الاستعمار الجديد، والسّبيل إلى ذلك هو القوّة النّضالية للنّخب، صانعة الوعي والرأي والفكر، وقائدة الكفاح والمقاومة السياسية، وأنّ إرادات الشعوب عبر الثورات الشعبية السّلمية أو عبر الانتخابات النزيهة ما هو إلاّ عامل حاسم في ميزان القوّة المرجّح لصالح التتويج بالتحرير والتغيير والتعمير.

● هل هناك تخوف فرنسي-مسيحي من صعود تركيا في السنوات الأخيرة كقوة إقليمية وعالمية، ومن شأن هذا الصعود أن يخلخل ميزان القوة في العالم، خصوصاً أن تركيا أثبتت وجودها في العديد من بؤر التوتر بالمنطقة وأفشلت الكثير من المخططات، لا سيما الفرنسية؟

– المؤكّد أنّ حساسية الدول الغربية والدول الوظيفية الوكيلة عنها في المنطقة والنّخب التغريبية المرتهَنة لها يزعجها هذا الصّعود المتنامي لتركيا إقليمياً ودولياً، والانزعاج الأكبر هو من الخلفية الحضارية والتاريخية والهوياتية لهذا المارد الإسلامي الصّاعد، الذي يفضح ويرفع السّقف عن الفساد والتزوير والظلم والاستبداد والاحتلال، وهو الغطاء الذي تتدثّر به هذه الأنظمة الغربية والعربية؛ وهو ما يقضّ مضاجعهم بهذه العودة الحضارية للإسلام، وهذا الاستئناف الحضاري وإعادة استدعاء الحضارة الإسلامية من جديد.

هذا الوَصل المتصالح بين تركيا وهويتها، وهذه التجربة التنموية الناجحة لها، وهذا النموذج الذي يجمع بين القيم الإسلامية والإنسانية المعاصرة هو الذي يفجّر كلّ هذا الزّخم من الصّراع ضدّها، وكلّ هذه العدوانية عليها، وكل هذا التآمر ضدّها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: 120).■

نفوذ فرنسا لا يرجع لقوتها الذاتية بل اتكال على الرصيد التاريخي السابق وارتهان بعض الأنظمة لها

لا تاريخ لفرنسا دون أفريقيا ومستعمراتها القديمة وهي تريد صناعة تاريخ استعماري جديد

الدول ليست جمعيات خيرية تتعامل بحسن النوايا بل تقوم على المصالح الحيوية لها

حساسية الدول الغربية والنخب التغريبية المرتهَنة لها يزعجها الصعود المتنامي لتركيا إقليمياً ودولياً

الإستراتيجية الفرنسية بين القصور الذاتي وعجز «ماكرون»

حازم عياد

تحول «الكتاب الأبيض الفرنسي للدفاع والأمن» منذ ظهر في العام 1974م إلى إستراتيجية تحدد الخطوط العريضة لرؤساء الجمهورية في فرنسا تجاه الملفات الخارجية.

الكتاب خضع لتعديلات متكررة تبعت التحولات الكبرى؛ كانهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة عام 1994م، استبعد فيه انضمام تركيا وأوكرانيا للاتحاد الأوروبي في حينها، وفي العام 2008م أعيدت كتابته لتتناسب مع التحديات الجديدة التي أعقبت الأزمة المالية العالمية والتدخل الأمريكي في العراق وأفغانستان.

«الكتاب الأبيض الفرنسي» صيغت نسخته الأخيرة في عهد الرئيس الفرنسي الأسبق «فرانسوا أولاند»، عام 2013م، لتتضمن أهم التحديات المستجدة عقب اندلاع «ثورات الربيع العربي»؛ لتضاف إلى التحديات التي تم تشخيصها في عام 2008م، وركزت على الأزمة المالية العالمية والإرهاب والطاقة وصعود الصين كقوة اقتصادية.

النسخة المعدلة للعام 2013م فُعّل فيها المجال الحيوي لفرنسا الممتد 7000 كم من نقطة المركز الممثل بالجمهورية الفرنسية، مطلقة العنان لسياسة تدخلية بدأت في ليبيا، عام 2011م، وامتدت نحو مالي، عام 2014م، لتتوج في عهد الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» بتوسيع حضور فرنسا العسكري شرق المتوسط وانخراطها في صراعات الطاقة وترسيم الحدود البحرية بين اليونان وتركيا، ومحاولاتها تدعيم نفوذها في لبنان وسورية والعراق.

الرؤية الإستراتيجية الفرنسية

حدد «الكتاب الأبيض» للعام 2008م التهديدات والتحديات للسياسة الفرنسية، بدءاً بالقوى الإقليمية الصاعدة والطاقة والإرهاب؛ فكان امتداداً لرؤية الرئيس الفرنسي الديجولي «جاك شيراك» التي عبر عنها في خطاب له، في يناير 2005م؛ لتخضع مجدداً للمراجعة بعيد الأزمة الاقتصادية العالمية، عام 2008م.

ورغم تحديات الأمن السيبراني والاعتراف بصعود الصين الاقتصادي وتنامي أهمية جنوب شرق آسيا في السياسة الدولية والاقتصادية؛ فإن اهتمام فرنسا بقي منصباً على منطقة الساحل والصحراء وحوض المتوسط وشرق أوروبا؛ محذراً من ضعف وهشاشة دول شرق أوروبا والمتوسط وإمكانية انهيارها؛ فهي المجال الحيوي القريب الذي يتهدد أمن واستقرار فرنسا، ويتطلب دعماً وإسناداً للدول الهشة في مواجهة القوى الإقليمية والدولية؛ وهنا تبرز اليونان في السياسة الفرنسية كنقطة ارتكاز لردع أنقرة، والحد من نفوذها شرق المتوسط، والاتفاق النووي «5+1» لاحتواء إيران وردعها غرب آسيا في لبنان والعراق وسورية.

النزعة التدخلية التي تم إقرارها في الكتاب الأبيض تعد امتداداً للرؤية المعلنة للعام 1994م التي اشترطت ألا تستهدف التدخلات الخارجية الشعوب بحسب الدستور الفرنسي، وأن تكون بصيغة جماعية مع شركاء دوليين عبر «الناتو» أو الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، وهو ما لم تلتزم به فرنسا بسبب القصور الذي تمتعت به هذه الإستراتيجية والفجوة المتنامية بينها وبين شركائها في الاتحاد الأوروبي، وعلى رأسهم إيطاليا وحلفاؤها في «الناتو» خاصة الولايات المتحدة التي أبدت أكثر من مرة رغبتها في الانسحاب من سورية والعراق وأفغانستان؛ متجاهلة مصالح فرنسا وتوجهاتها الإستراتيجية، ورافعة بذلك الكلف على الجمهورية الفرنسية التي تتعاطى وحيدة مع رؤيتها بعيداً عن حلفائها وشركائها الغربيين.

منذ لحظة وصول «ماكرون» إلى سدة الرئاسة، في مايو 2017م، طغى المشهد

الداخلي على أدائه الاقتصادي ذي النزعة الليبرالية المنحازة لرجال المال والأعمال؛ إذ لم يمض عام واحد على وصوله إلى قصر الإليزيه حتى اندلعت احتجاجات «السترات الصفراء»، في مايو 2018م؛ وهو ما قوض مكانته كرئيس منتخب تفوق على اليسار واليمين بكافة أطيافه؛ إذ اتهمه المحتجون باستهداف الطبقة المتوسطة وتجاهل الفقراء والتعامل بتعالٍ مع الطبقة العاملة نتيجة اتباعه سياسة تحابي رجال المال والأعمال.

ولم تقتصر إخفاقات «ماكرون» على السياسة الداخلية، إذ سرعان ما شق الإخفاق طريقه إلى السياسة الخارجية؛ فدخل في مواجهات دبلوماسية مع شركائه في الاتحاد الأوروبي وعلى رأسهم قادة اليمين الإيطالي، فالنفوذ الفرنسي في أفريقيا عصفت به النكسات خلال الفترة الممتدة من تسلمه الرئاسة إلى عام 2020م، متأثراً بتصاعد الخلافات والتنافس بين فرنسا وإيطاليا في الملف الليبي، وملف الهجرة والصحراء والساحل، مهدداً بمزيد من الانقسامات والتشرذم داخل الاتحاد الأوروبي الذي عصفت فيه الأزمات؛ بدءاً من إعلان بريطانيا خروجها من الاتحاد الأوروبي، وليس انتهاء بأزمة تفشي وباء «كورونا».

دوافع التوجه نحو الشرق

دفع ضيق أفق الرؤية الفرنسية وطبيعة الأزمة الداخلية التي عانى منها الرئيس «ماكرون» إلى التحالف مع قوى نفطية عربية؛ أملاً بالحصول على عقود تسلح ضخمة والمزيد من الصفقات التجارية، إلى جانب الوعود بتمويل حربه في مالي ودول الساحل ودعم نفوذه في ليبيا؛ ما قيد خياراته، وفاقم أزمته السياسية الخارجية والداخلية التي عكستها إخفاقات وحالة تخبط وتهور في السياسة الخارجية تجاوزت المحددات والضوابط التي رسمها الكتاب الأبيض والدستور الفرنسي.

فالتحالفات والشراكات التي أنشأها «ماكرون» لدعم خليفة حفتر في ليبيا وتعزيز سياسته في منطقة الساحل والصحراء لم تعوض فرنسا عن الشركاء الأوروبيين و«الناتو»، ولم تفلح في تجاوز قيود الشرعية الدولية؛ إذ أدت هذه العناصر الدور الأبرز في تفاقم القصور الإستراتيجي الذي حاول الكتاب الأبيض تجنبه من خلال الدعوة للتحرك الجماعي الذي فشل «ماكرون» بتحقيقه.

ويمكن ملاحظة تفاعل هذه العناصر من خلال المؤشرات التالية:

1 – تضارب المصالح الفرنسية الإيطالية كان العنصر الأكثر تأثيراً في صياغة السياسة الخارجية والأمنية الفرنسية تجاه ليبيا ومنطقة الساحل والصحراء؛ إذ أعاق قدرتها على إشراك دول الاتحاد في الإستراتيجية الفرنسية ليبقى اعتمادها على دول «جي 5» (مالي وموريتانيا والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد) إلى جانب دعم مالي عربي محدود.

2 – الإخفاق الفرنسي في مالي وليبيا سار بالتوازي مع تعاظم الفجوة بين التحركات العسكرية لقوات «أفريكوم» الأمريكية في منطقة الساحل والصحراء والقوات الفرنسية العاملة في مالي، المقدرة بين 3000 و4000 عنصر من القوات الفرنسية؛ إذ أوقفت وزارة الدفاع الأمريكية دعمها

رغم التحديات التي تواجه فرنسا بقي اهتمامها منصباً على منطقة الساحل والصحراء وحوض المتوسط وشرق أوروبا

جهود «ماكرون» لتجاوز عقدة الفشل تحكمت في جوهر السياسة الخارجية التي باتت رهينة بأزمته وعجزه

الاستخباري واللوجستي لعملية «برخان» الفرنسية في مالي، في حين لم تقدم الدعم السياسي أو العسكري للجنرال خليفة حفتر في هجومه على العاصمة طرابلس في ليبيا؛ بسبب طبيعة الشراكة التي جمعته بالروس، خصوصاً شركة «فاغنر» مقابل تعاون القوات الأمريكية مع حكومة الوفاق الشرعية لمكافحة الإرهاب في سرت وسائر الغرب الليبي.

3 – الإخفاق الفرنسي لم يأت حصيلة الخروج الفرنسي على الإجماع الأوروبي والابتعاد عن «الناتو»؛ إذ شمل عجزها عن التعاون مع حكومة الوفاق الشرعية لأسباب أيدولوجية فضلاً عن تعارض طموحاتها مع قرارات الأمم المتحدة بحظر السلاح في ليبيا؛ لتجد فرنسا نفسها وحيدة مع حلفاء عرب وأفارقة تتنازعهم مصالح متضاربة ومتعارضة مع الشركاء الإقليميين في الجزائر والمغرب وليبيا، إلى جانب الشركاء الدوليين الروس والصينيين والأمريكيين الذين وجدوا ثغرات مكنتهم من تعزيز نفوذهم في ليبيا والساحل والصحراء على حساب فرنسا ونفوذها.

4 – فشل «ماكرون» في إدارة الملف الليبي لم يمنعه من التحرك بعيداً عن الحلفاء في الاتحاد الأوروبي و«الناتو» بتوسيع دائرة الاشتباك لتشمل تركيا شرق المتوسط وإيران غرب آسيا، ليتصدر لغة التصعيد والمواجهة شرق المتوسط وغرب آسيا في جزيرة قبرص ولبنان والعراق دون إسناد أوروبي فعلي، معتمداً على أثينا كحليف في مواجهة تركيا في المتوسط، وعلى بغداد لمواجهة نفوذها في سورية والعراق، مقابل عجز كامل عن التعامل مع إيران في لبنان والعراق وسورية.

لا يمكن عزل تحركات «ماكرون» شرق المتوسط عن النكسات المتتالية التي لحقت بإستراتيجية بلاده في منطقة الساحل والصحراء التي استثمرت فيها باريس الكثير، كما لا يمكن عزلها عن الخسارة الكبيرة في الانتخابات المحلية لحزبه «الجمهورية إلى الأمام»؛ التي عكست تراجع شعبيته بُعيد انطلاق حركة «السترات الصفراء»، ومن ثم الاستياء العام من إدارته لملف وباء «كورونا»؛ ما استدعاه لإقالة رئيس الوزراء.

جهود «ماكرون» لتجاوز عقدة الفشل تحكمت في شكل وجوهر السياسة الخارجية الفرنسية التي باتت رهينة بأزمته وعجزه عن تحقيق الرؤية السياسية الفرنسية، كما هي رهينة القصور الذاتي للإستراتيجية الفرنسية التي تمت صياغتها وتعديلها أكثر من مرة دون فاعلية تُذكر؛ فعوامل القصور الذاتي؛ سواء الداخلية –الممثلة بالبيئة الحزبية والاجتماعية الفرنسية المتقلبة والمنقسمة– أم بالبيئة الخارجية –فرنسا في الاتحاد الأوروبي و«الناتو»– أعاقت قدرة باريس على إدارة فاعلة لسياساتها الخارجية؛ وهو ما فاقم أداء «ماكرون» وتوجهاته ذات النزعة الصدامية مع بيئته الداخلية والإقليمية مهدداً باريس بتكرار الفشل شرق المتوسط وغرب آسيا.■

www.mugtama.com

ORGANISATION INTERNATIONALE DE la francophonie

الفرنكوفونية..
توحيد للشعوب أم هدم للهويات؟

محمد فتحي النادي

فرنسا لها سِجل أسود ضد الشعوب والبلدان أثناء حقبتها الاستعمارية؛ فيدها متلطخة بدماء ملايين البشر الذين قتلتهم حينما هبوا للدفاع عن أوطانهم، واستخدمت أبشع طرق الفتك والتنكيل، وهي لم تكن راغبة في احتلال الأرض فحسب، بل واحتلال العقول أيضاً؛ لتضمن التبعية الدائمة والولاء المطلق لها، هذا كله رغم ما تدعيه من أنها بلاد النور والحرية وحقوق الإنسان، نعم هي كذلك للإنسان الغربي مسيحي الثقافة حتى وإن كان ملحد الديانة، لكنها مع الآخر وخصوصاً المسلم فإنها شديدة العنصرية والتعصب.

لقد أفل نجم فرنسا الاستعمارية، لكنها ما زالت تعيش على تاريخ إمبراطوريتها القديمة، ومن الأدوات التي تستخدمها لمد أمد النهاية ولو قليلاً، والاقتيات على التاريخ غير البعيد المنظمة الفرنكوفونية.

هذا المصطلح (الفرنكوفونية) الشائع الآن يرجع اشتقاقه إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديداً في عام 1880م، الذي وضعه الجغرافي الفرنسي «أونزيم ريكلوس» (Onesime Reclus)، الذي يدل الآن على الأفراد والبلدان التي تستخدم اللغة الفرنسية استخداماً كلياً أو جزئياً، التي كانت مستعمرات فرنسية قديمة.

تحولت الفرنكوفونية إلى منظمة دولية تضم عدداً كبيراً من الدول، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية، فهي تضم الآن 84 دولة وحكومة، من بينها 58 دولة عضواً و26 دولة تتمتع بصفة مراقب، وقد تأسست في 20 مارس 1970م في نيامي عاصمة النيجر، وقد اعتبروا هذا اليوم يوماً عالمياً للاحتفال بالفرنكوفونية، وفي مدينة باريس يقع المقر الرئيس لهذه المنظمة.

أهداف الفرنكوفونية

ذُكر أن هدف المنظمة هو الترويج للغة الفرنسية، «وتعزيز التعاون بين الدول والحكومات الأعضاء، وقد صيغ هذا الهدف رسمياً في ميثاق الفرنكوفونية الذي اعتمده مؤتمر قمة هانوي عام 1997م، ونقحه المؤتمر الوزاري عام 2005م في أنتاناناريفو»[1].

فالفرنسية رغم كل ما فعله أبناؤها في مستعمراتها من طمس للهويات ومحو للغات الوطنية، فإنها اللغة الخامسة عالمياً، وتأتي بعد اللغة العربية.

وتشهد عزوفاً عنها إلى الإنجليزية؛ لذا تعمل هذه المنظمة على نفخ الروح في اللغة الفرنسية، بل والترويج لها.

واللغة الفرنسية تستخدم كوسيلة للدفاع عن مصالح فرنسا في العالم، وترى فرنسا أنها إن لم تفعل ذلك فستفقد وتخسر الكثير[2].

وهذا واضح في ذهن القيادة السياسية، ففي عام 2018م قام رئيس الجمهورية الفرنسية بعرض الخطة الشاملة لترويج الفرنسية وتعدد اللغات في العالم، وكيف «تصب فرنسا تركيزها على اللغة الفرنسية باعتبارها أرضية مشتركة لمؤسسات الفرنكوفونية المتعددة الأطراف، ولا سيما المنظمة الدولية للفرنكوفونية»[3].

وهي مكلفة بأربع مهام رئيسة، هي:

1 – ترويج اللغة الفرنسية وتعزيز التنوع الثقافي واللغوي على الصعيد الدولي وفي البلدان الأعضاء من خلال برامج تعاون محددة الأهداف.

2 – تعزيز السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان عبر إقامة شراكات من أجل تسوية الأزمات والنزاعات في الحيز الفرنكوفوني.

3 – دعم التعليم والتدريب المهني (تدريب المدرسين، والتعليم الثنائي اللغة).

4 – توطيد التعاون لخدمة التنمية المستدامة (مؤازرة أنشطة التنمية المستدامة وتقديم الدعم التقني في المفاوضات الدولية)[4].

واللغة وعاء الثقافة وعنوان الهوية، والفرنسيون لا يقبلون بالتنوع الثقافي، وكان إحلال لغتهم محاولة منهم لفرض التبعية ومسخ الهوية، يقول «دي روفيكو»: «إني أنظر

الفرنسية رغم كل ما فعله أبناؤها بمستعمراتها من طمس للهويات ومحو للغات فإنها اللغة الخامسة عالمياً بعد العربية

الفرنسيون لا يقبلون بالتنوع الثقافي وكان إحلال لغتهم محاولة منهم لفرض التبعية ومسخ الهوية

إلى نشر تعليمنا ولغتنا كأنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في هذا القطر (الجزائر) تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية؛ فالفرنسية تقدر على الانتشار بين السكان خصوصاً إذا أقبل الجيل الجديد على مدارسنا أفواجاً أفواجاً»[5].

وهذه الرؤية والتوجه لهم أثمرت وآتت أكلها؛ حيث إننا نسمع بعض المتفرنسين يقول: المنظمة روح وفكر وثقافة وحضارة[6].

المؤسِّسون رموز تبعية

من العجيب أن هذه المنظمة لم تقم على أيدي الفرنسيين، بل على أيدي عرب وأفارقة وآسيويين، وهؤلاء رأوا أن الفرنسية (اللغة والثقافة) رابطة وجامعة تجمعهم!

والأعجب من ذلك أن هؤلاء المؤسسين كانوا القادة الذين أتوا رؤساء بعد استقلال بلدانهم عن فرنسا! فـ «ليوبولد سيدار سنغور» أول رئيس للسنغال بعد الاستقلال عن فرنسا، وكذا «الحبيب بورقيبة» في تونس، و«حماني ديوري» في النيجر، هؤلاء صاغوا ميثاق وكالة التعاون الثقافي والتقني في عام 1970م، التي تغير اسمها إلى المنظمة الحكومية الدولية الفرنكوفونية عام 1998م، وفي عام 2005م أصبح اسمها المنظمة الدولية للفرنكوفونية.

وهذا «بورقيبة»، في لقاء صحفي له مع إحدى الصحف الفرنسية، يقول: «إن مستقبلنا مرتبط بمستقبل الغرب عموماً ومتضامن مع مستقبل فرنسا خاصة، ونحن نتجه اليوم من جديد إلى فرنسا.. إنني أنا الذي تزعمت الحركة المنادية بالفرنكوفونية؛ فالرابطة اللغوية التي تجمع بين مختلف الأقطار الأفريقية أمتن من روابط المناخ أو الجغرافيا»[7].

ورغم ارتماء هؤلاء في أحضان فرنسا، فإنها لم تمنع من الانقلاب على «بورقيبة»، أو «حماني».

وتهتم المنظمة ومن ورائها فرنسا بتوسيع دائرة المنظمة لتشمل عدداً أكبر من الدول، ولا يهمها إن كانت هذه الدول تمارس الشورى والديمقراطية أم أنها تقمع شعوبها، فالمهم أن ترعى هذه الدول مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة.

تهديد اللغات والهويات

ذكر «ستيفان لوبيز»، أحد المسؤولين بالمنظمة، في محاضرة ألقاها بعنوان «الفرنكوفونية.. تاريخ وتطورات وإنجازات»، أن المنظمة «تهتم بالدرجة الأولى بالجوانب الثقافية أكثر من الجوانب السياسية للدول الأعضاء، وتهتم بنشر الثقافة، وإقامة معارض الكتب وتبادل الخبرات والدورات بشأن كل ما يتعلق باللغة الفرنسية».

فهذا يعني أنها رأس الحربة لفرنسا في الغزو الفكري والثقافي والعبث بالهويات؛ لذا يرى «سيدي غالي لو» أن للفرنكوفونية مخاطر كبيرة، تتمثل في:

1 – سعيها لإحلال القوانين المستمدة من الفكر العلماني محل القوانين المحلية في الدول الأعضاء التي معظمها دول إسلامية ذات صلة بتعاليم الإسلام.

2 – نشر اللغة الفرنسية مع محاربة اللغات المحلية وخاصة العربية الفصحى في الدول الأعضاء في الفرنكوفونية.

3 – ممارسة الغزو الفكري وعملية غسل المخ من خلال إنشاء جامعة فرنكوفونية عالمية.

4 – خلخلة القيم الدينية والأخلاقية في البيئات الإسلامية وتوجيهها نحو الحياة الاجتماعية الغربية الفاسدة من خلال وسائل إعلام مختلفة.

5 – تشتيت شمل المسلمين، وبث الخلافات بين الدول الإسلامية بسبب موالاة بعضها لمعسكر الفرنكوفونية ضد البعض الآخر الموالي لمعسكر الكومنولث البريطاني؛ مما يحول دون تحقيق وحدة حقيقية بين هذه الدول[8].

فالمنظمة وريثة فرنسا الاستعمارية، وتكمل مسيرة الاستدمار والاستخراب للشعوب التي سبق احتلالها، يقول د. عمر النمري: «لا شك عندي في أن الفرنكوفونية إنما استهدفت تنحية اللغة العربية، ومن ثم استبعاد الثقافة الأصلية للشعوب المستعمَرة؛ لا بل استبعاد الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية لهذه الشعوب؛ ولا سيما أن أغلب الشعوب الأفريقية تدين بالإسلام وتنتسب إلى الحضارة الإسلامية؛ وذلك بهدف إحلال الفرنسية محلها وتحقيق الإلحاق الثقافي والحضاري، لا بل الإلحاق الجغرافي أيضاً كعزمهم السابق على إلحاق الجزائر بالقطر الفرنسي»[9].

يعول الساسة الفرنسيون كثيراً على تلك المنظمة لتجعل لهم موطئ قدم في عالم سريع التغيرات، وتتبدل فيه موازين القوة بسرعة، وهذا التعويل يظهر في قول الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» خلال زيارته لتونس عام 2018م حينما قال: «إن الفرنكوفونية ليست مشروعاً قديماً، بل هي مشروع مستقبلي، فتحدث اللغة الفرنسية تعد فرصة حقيقية، على المستويات اللغوية والاقتصادية والثقافية»[10].■

الهوامش

(1) الفرنكوفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف منشور على موقع «الدبلوماسية الفرنسية».

(2) استمع إلى الحلقة النقاشية: منظمة الفرنكوفونية: تكتل ثقافي أم سياسي؟ على موقع قناة «فرنسا 24».

(3) الفرنكوفونية حيز للتعاون متعدد الأطراف، منشور على موقع «الدبلوماسية الفرنسية».

(4) المرجع السابق.

(5) ساكري البشير: هل لا تزال الجزائر محمية فرنسية (مقالة)، مجلة البيان، 2015/8/23م.

(6) استمع إلى الحلقة النقاشية: منظمة الفرنكوفونية: تكتل ثقافي أم سياسي؟

(7) عمر النمري: الفرنكوفونية استعمار أم استخراب، مجلة البيان، العدد 178، 2002م، ص48.

(8) سيدي غالي لو: الفرنكوفونية كما هي الميلاد والنشأة والسياسة، مجلة البيان، العدد 238، باختصار.

(9) عمر النمري: الفرنكوفونية استعمار أم استخراب، مجلة البيان، العدد 178، 2002م، ص48.

(10) https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-42919547.

www.mugtama.com

الفرنكوفونية.. والعبث بهوية الأسرة المسلمة

تعبث بهوية الأسرة من خلال دعم القوانين التي تعارض الشريعة الإسلامية والإنفاق على الجمعيات النسوية

في الوقت الذي قامت فيه فرنسا الاستعمارية بأبشع المذابح في مستعمراتها لسلب الأرض واللغة والثقافة والهوية، كتب مفكروها ومثقفوها عن الحرية والعدالة والمساواة وقدموها كبلد الأنوار، فيما انساق عدد كبير من مثقفينا يدافعون عن فرنسا الثقافة والفكر، ويفصلون بينها -بسذاجة بالغة أو ربما بشعور مركب من النقص- وبين فرنسا السياسة والاحتلال والتخريب.

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

كانت محاولات فرنسا لاختراق شعوبنا العربية والإسلامية دائماً ما تواجه بتاريخها الاستعماري الأسود، وفي ضوء هذا يمكننا قراءة اعتراف الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» الهزيل بالتعذيب المنظم الذي انتهجته فرنسا في الجزائر دون أن يقدم اعتذاراً رسمياً عن الاحتلال ذاته، ويمكننا أيضاً أن نقرأ ما قام به مؤخراً من تحركات في لبنان من زيارة للأماكن المنكوبة، وتعاطف مع أهالي الضحايا، وتقديم الدعم المادي للمدارس والمؤسسات ذات التوجه الفرنكوفوني ومدارس الإرساليات الكاثوليكية، تلك المدارس التي أنتجت إنساناً لبنانياً فرنسياً يرى في فرنسا الأم الحنون ويتوق لأيام الاحتلال، حتى إنهم قاموا بكتابة عريضة تطالب بعودة الانتداب الفرنسي على لبنان!

يحاول الرئيس الفرنسي، إذن، الذي يطلق عليه البعض «ماكرون بونابرت»! أن يستعيد بعضاً من النفوذ الفرنسي عن طريق القوة الناعمة؛ اللغة والثقافة والقيم الفرنسية، من خلال المدارس والمؤسسات الفرنكوفونية التي تعيد تشكيل هوية الإنسان العربي والمسلم، ومن ثم تعيد تشكيل هوية الأسرة من خلال التفكيك وإعادة البناء.

في لبنان وحده أكثر من 330 مدرسة كاثوليكية 80% منها تقدم تعليمها بالفرنسية وتضم 50% من التلاميذ

الهوية الفرنكوفونية

لا يمكن النظر إلى الفرنكوفونية كونها مجرد النطق باللغة الفرنسية، بل هي ثقافة وهوية، أو كما يصفها الكاتب والباحث السياسي اللبناني قاسم محمد عثمان بطريقة حالمة أنها «واقع معيش ونمط تفكير وسلوك حياة قبل أن تكون انخراطاً في نموذج سياسي أو في كيان جغرافي؛ فهي كيان يتحرك فيه الإنسان ضمن تنوعه العرقي والوطني والديني، وهي مكان للتلاقي بين البشر ولتبادل المعلومات وتناقل المعرفة وتقاسم الثقافة، وهي إطار للتلاقح المثمر ولتقدير الحياة بالمعنى الإنساني والأخلاقي للكلمة».

هذه هي الفرنكوفونية في ضمير أنصارها؛ حياة لها قيمها الخلقية الخاصة، وهذا ما يسعى إليه الفكر الفرنكوفوني، حتى إن المنظمة الدولية للفرنكوفونية أوضحت أن القيم الفرنكوفونية لا تقل قيمة عن اللغة، وبحسب ما ورد في الموقع الرسمي للمنظمة «تمثل الفرنكوفونية مجالاً من أكبر المجالات اللغوية العالمية، فهي ليست مجرد تقاسم لغة؛ لأنها تعتمد أيضاً على أساس الاشتراك في القيم الإنسانية التي تنقلها اللغة الفرنسية، ويمثل هذان العنصران الدعائم التي ترتكز عليها المنظمة الدّولية للفرنكوفونية».

من هنا نستطيع أن نفهم أن سعي فرنسا المحموم لدعم تعليم اللغة الفرنسية يتجاوز المعنى الضيق الذي قد يتبادر للذهن لنشر اللغة اللسانية، وفي عصر العولمة تريد فرنسا أن تحافظ على نصيبها من الكعكة على الأقل في مستعمراتها السابقة، وهذا ما قاله «ماكرون» مراراً كونه عازماً على المساهمة في زيادة انتشار اللغة الفرنسية في العالم؛ حيث يزعم أنها تتمتع بإمكانات هائلة.

وإذا كانت أفريقيا هي مستقبل اللغة الفرنسية حيث الخصوبة البشرية الهائلة، فلبنان يمثل الجسر الأكثر أهمية بين الشمال والجنوب الفرنكوفوني، حتى إن كثيراً من أدباء لبنان البارزين يكتبون الأدب بالفرنسية، الأدب بكل ما يحمله من رموز وأساطير وتاريخ وفلسفة وصناعة لوجدان الإنسان لذلك، فحماية لبنان هو حماية إستراتيجية لمصالح فرنسا في المنطقة.

التعليم والهوية

تهتم فرنسا اهتماماً هائلاً بالتعليم والثقافة، حتى إن «ماكرون» دعا القادة الأوروبيين لإعادة تأسيس أوروبا عن طريق نشر الثقافة الأوروبية، حيث قال: «لا توجد أوروبا من دون ثقافة، ما نحتاج إليه هو الخيال الأوروبي الإيجابي لعلاج الوهن الذي أصاب القارة العجوز».

تقوم فرنسا بدور طليعي -إن جاز التعبير- في نشر هذه المعرفة والثقافة، ولها تاريخ طويل في إنشاء المدارس صانعة

الثقافة الأولى لإعادة تعريف الهوية، أو كما تقول الكاتبة الجزائرية لطيفة بن منصور: «القائمون على مدارس الاستعمار كانوا يريدون إخضاع النفوس؛ غسلها وتعقيمها لإنتاج فرنسيين صغار على دراية بمعارك فرنسا في بواتييه وآليزيا وووترلو، على دراية كاملة بأسماء الشعراء والكتّاب الذين يبرزون مجد وواجهة فرنسا –الوطن الأم– أكثر مما يفعله الجنرالات».

قديماً أيام الاحتلال كان يتم التعامل بعنف وقوة لفرض اللغة الفرنسية وتنحية العربية في المدارس، يشرح «بول مارتي» سياسة التعليم على هذا النحو: «إن كل تعليم للعربية، وكل تدخل من الفقيه، وكل وجود إسلامي سوف يتم إبعاده بكل قوة؛ وبذلك نجذب إلينا الأطفال البربر عن طريق مدرستنا وحدها، ونبعد متعمدين كل مرحلة من مراحل نشر الإسلام»، وهذا ما حدث بأبشع صورة في الجزائر، ولم تعتذر عنه فرنسا مطلقاً.

في اللحظة الراهنة، يمكننا أن نأخذ نموذج التعليم الفرنكوفوني في لبنان كنموذج لتعزيز القوة الناعمة لفرنسا في بلادنا؛ ففي لبنان وحده أكثر من 330 مدرسة كاثوليكية؛ 80% منها تقدم تعليمها بالفرنسية، وتضم نحو نصف مليون تلميذ (حوالي 50% من عدد تلاميذ لبنان)، بالإضافة لـ5 مدارس تابعة للبعثة العلمانية الفرنسية، وتلتقي المدارس الكاثوليكية والعلمانية في نشر الثقافة الفرنكوفونية، ومن ثم فلا دهشة مطلقاً من أن الدعم الذي وجهته فرنسا للبنان بعد الأحداث الأخيرة تم تقديمه لخدمة مصالحها الإستراتيجية المتمثلة في تلك المدارس.

على جانب آخر، تسعى فرنسا لتذويب

إذا كانت أفريقيا مستقبل اللغة الفرنسية فلبنان الجسر الأكثر أهمية بين الشمال والجنوب الفرنكوفوني

أبناء المهاجرين العرب في ثقافتها ولكن بمنهجها الناعم الجديد؛ فبدلاً من الحرب على العربية والإسلام، تسعى فرنسا من أجل إسلام جديد بثقافة عربية مختلفة، أو كما جاء في تقرير معهد «مونتاني» حول اللغة العربية: «كلما تأخرنا في تعليم اللغة العربية في المدارس؛ ارتفع عدد التلاميذ في المساجد»!

الفرنكوفونية والأسرة

هناك آليتان تعمل بهما الفرنكوفونية للعبث بهوية الأسرة المسلمة؛ الأولى هي التعليم الفرنكوفوني الذي يصنع أجيالاً شابة منسحقة أمام هذه الهوية، هذه الأجيال هي مستقبل الأسرة العربية والمسلمة، حيث تستميت فرنسا –كما أوضحنا– في دعم هذا النوع من التعليم الذي أتى بنخبة متغربة فرنكوفونية الهوى، ويمكننا

خروبات:

بالفرنكوفونية يتم نشر الخلاعة الفكرية وتشتيت الأسرة المسلمة باسم حرية المرأة والطفل وحقوقهما

في ضوء ذلك قراءة بيان الجمعية اللبنانية للطب النفسي الذي قالت فيه: إن المثلية الجنسية لا تشكل اضطراباً أو مرضاً؛ وهي بالتالي لا تتطلب أي علاج (المثلية الجنسية ليست نتيجة اضطراب في الدينامية العائلية أو نمو نفسي غير متزن)، ويمكننا أيضاً في ضوء ذلك استشراف صورة الأسرة اللبنانية في المستقبل وهي تسير على خطا الأسرة الفرنسية.

أما الآلية الثانية لمحاولة الفرنكوفونية العبث بهوية الأسرة، فهي تتمثل في دعم القوانين التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية؛ من خلال أموال طائلة تحصل عليها الجمعيات النسوية والعلمانية في بلادنا من أجل عمل مشاريع تمهد الأرض لمثل هذه الأفكار، ومسابقات وأبحاث تسير في الاتجاه ذاته، ومن خلال مؤتمرات تعقد في الداخل والخارج من أجل أطروحات جديدة أو آليات أكثر سلاسة لتغيير فكري ناعم، ويمكننا تلمس التخصص في العمل والنشاط في الحركة والمتابعة حتى الوصول لمرحلة نصوص قانونية علمانية موحدة متعلقة بالأسرة تعتمد على المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وتتبنى الرؤية الغربية العلمانية الفرنكوفونية للأسرة.

يقول أستاذ الفكر والحضارة الإسلامية د. محمد خروبات: «من خلال الفرنكوفونية يتم نشر التغريب وتكريس التبعية المُذلة، وبالفرنكوفونية يتم تشتيت الأسرة المسلمة باسم حرية المرأة وحقوقها، وباسم حرية الطفل وحقوقه، وبالفرنكوفونية يتم نشر الخلاعة الفكرية المنافية للأعراف، والمخالفة للتقاليد، والمضادة للأخلاق والقيم، وباسم الفرنكوفونية يتم التضييق على الثقافة الإسلامية الأصيلة».

يبدو جلياً، إذن، لمن يعي أن هناك حالة نفاق وازدواجية مقصودة في أطروحة الفرنكوفونية؛ فرغم أنها تروج لنفسها على أنها حاملة لقيم التعددية في القبول بالثقافات واللغات، فهي في الحقيقة تمارس عنصرية واضطهاداً للآخر، وتصدر خطاب كراهية، وما الموقف من الحجاب وفلسفته إلا نموذج لهذا التناقض، ولا يمكن فهم تحركات باريس للدعم أو التعاطف إلا في ضوء المصلحة العليا للفرنكوفونية لغة القيم الاستعمارية والعنصرية والعلمانية.■

www.mugtama.com

الفرنكوفونية والسينما العربية.. أقنعة استعمارية ورسائل سلبية

تحمل الفرنكوفونية شعارات أيديولوجية قوامها نشر الحداثة والتنوير الفرنسي، بوصفها نموذجاً ينبغي احتذاؤه في التقدم الحضاري؛ وهو ما أكده مفهوم الفرنكوفونية الاصطلاحي الذي يقرر أنها تمثّل تيّاراً ثقافياً نودي به في أعقاب استقلال البلاد التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي بقصد الإبقاء على الصلات الثقافيّة المشتركة المتمثّلة في تعزيز نشر اللغة الفرنسيّة وثقافتها، ثم تطوّر الأمر لتأسيس منظّمة فرنكوفونية جامعة[1].

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي

يتفرع عن منظمة الفرنكوفونية عشرات المؤسسات والجهات الداعمة للثقافة الفرنسية على مستوى العالم، لمواصلة تعميم اللسان الفرنسي بمؤسسات التعليم في المستعمرات الفرنسية السابقة، حيث تشير الدراسات إلى أن النخب الوطنية الفرنكوفونية في السلطة كانت خير معين في تطبيق سياسة الفرنسة؛ فتحقق لفرنسا في عهد الاستقلال ما لم يتحقق لها في عهد الاستعمار.

كما رعت الفرنكوفونية مشروعات ثقافية وفنية وأدبية لترويج أيديولوجيتها، عبر دعمها لشرائح واسعة من المثقفين والمفكرين الوطنيين الذين هم فئات متفرنسة تغريبية في بلادهم؛ أملاً في صنع ما يُسمّى «الفضاء الناطق بالفرنسية»، الذي يحتضن كل من ينتمي إلى الثقافة الفرنسية، خاصة في الدول التي استعمرتها فرنسا، وسعت لمواصلة هيمنتها الاستعمارية على صعيد الفكر والثقافة، بنشر الآداب والفنون الفرنسية، مع ترجمتها إلى اللغات المحلية.

من الثقافة إلى السياسة

كما تطورت الفرنكوفونية من البعد الثقافي والرابطة اللغوية لتتخذ أبعاداً سياسية وفكرية واقتصادية[2]، وتكرّست تلك التوجّهات بشكل أكبر تأثيراً، منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، خاصّة بعد بروز الولايات المتّحدة كقطب أوحد في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي السابق حينما شعرت فرنسا بتحدٍّ كبير أمام العولمة الأمريكية، والاستعلاء الأنجلوفونيّ مع السيادة شبه التامّة للغة الإنجليزيّة عالمياً في شتّى مجالات الحياة، التي عزّزتها ثورة المعلومات والشبكة العنكبوتية[3]، فتوسعت أنشطتها لتشمل الهجوم على النموذج الأمريكي، بوصفه نموذجاً إمبريالياً ورأسمالياً قميئاً، لا يرتكز على إرث ثقافي وفكري رفيع مثل النموذج الفرنسي.

ومن ثم دعّمت الفرنكوفونية مشروعات فكرية وثقافية وسينمائية عديدة في الدول المنضمة الأعضاء، عبر برامج واسعة تضم عدداً كبيراً من العاملين الفاعلين،

تطورت من البعد الثقافي والرابطة اللغوية لتتخذ أبعاداً سياسية وفكرية واقتصادية في مواجهة القطب الأمريكي

دعّمت مشروعات فكرية وسينمائية في الدول الأعضاء بهدف اغتصاب اللسان العربي

www.mugtama.com

الذين يحصلون على مزايا مالية وتكريمية عالية، وتستهدف -كما يقول عبدالإله بلقزيز- اغتصاب اللسان الوطني (العربي)، ومسخ الشخصية الثقافية، وتزوير الذاكرة الجماعية، وتنمية المثقف الوطني المتغرب المستلَب ثقافياً، كي يدافع عن الثقافة والتنوير الفرنسي، والدخول في مواجهة مع أبناء جلدته منتصراً للفرنسة[4].

فعملت الآلة الفرنكوفونية على إستراتيجية التغريب الثقافي والفكري، ومواصلة المشروع الاستشراقي المضاد للهوية العربية الإسلامية، والترويج لأنماط الثقافة الفرنسية، وتصوير فرنسا على أنها بلد كمال الحضارة والتقدم والمعرفة، واحتقار قيمنا الأخلاقية، ومحاربة التيارات الإسلامية، وإعلاء المنظومة السلوكية والأخلاقية الأوروبية، مثل حقوق المرأة بالمفهوم الغربي، وتشجيع العلاقات خارج الزواج، والتعاطف مع المثليين والأمهات اللائي لم يحصلن على زواج شرعي؛ وتقديمهم على أنهم فئات مضطهدة اجتماعياً، ومثلهم كذلك الملحدون والعلمانيون، وتبدّى كل ذلك واضحاً في برامج دعم السينما الموجهة في العالم العربي، مثل الأفلام السينمائية في المغرب العربي (تونس، والجزائر، والمغرب)، وموريتانيا، ومصر، ولبنان، ناهيك عن الدول الأفريقية المسلمة، مثل السنغال، ونيجيريا، وتشاد، والنيجر.

ولعل خير شاهد على ذلك الفنان المصري حسين فهمي (عندما تولى رئاسة مهرجان القاهرة السينمائي، وقد رفض عرض أفلام يوسف شاهين)، فقد ندد بتمويل بعض الأفلام العربية من جانب وزارة الثقافة الفرنسية، وهو ما يكون ملوثاً مسيئاً للمجتمعات العربية، سواء أكان في مصر أم في المغرب العربي، حيث تمجد هذه الأفلام الحياة في فرنسا وتقدمها كأنها حلم لكل شاب، بل ويتم دفعها إلى المهرجانات حتى تحصل على جوائز، مستشهداً بتمويل فرنسا لفيلم تونسي يحلم فيه البطل بالسفر إلى باريس، وأيضاً فيلم مغربي يحكي قصة سبعة شبان مغاربة يفضلون العيش في غرفة بباريس بدلاً من العودة إلى بلادهم[5]، بما يعني أن الشباب العربي يحتقر وطنه، وبدلاً من أن يساهم في تنميته والانتماء له؛ يحلم بالهجرة -أو الفرار- إلى فرنسا المتحضرة، ويتباهى بثقافتها الراقية.

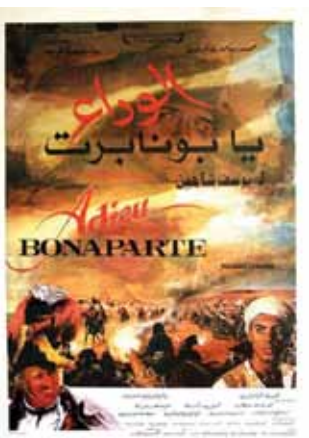

شاهين.. والفرنكوفونية

إن القضية ليست فيلماً أو بعض أفلام، إنما هي سياسة فرنكوفونية ثابتة، فهناك عدد من المخرجين العرب ارتبطوا ثقافياً وفكرياً بالمشروع الفرنكوفوني في أعمالهم، وحصلوا على دعم مؤسساته، ويأتي في مقدمتهم المخرج المصري يوسف شاهين (1926 – 2008م)، الذي تولى ابن شقيقته المنتج الفرنسي «جابي خوري» إنتاج أفلامه، بمشاركة المنتج الفرنسي «أمبير بالزان»، بوصفه مندوباً عن الفرنكوفونية، وقد أنتج الاثنان معظم الأفلام في العقدين الأخيرين من حياة شاهين، كما ضمنا له عرضها في عشرات من دور السينما بفرنسا، بعد دبلجتها بالفرنسية، كما أن مؤسسات الفرنكوفونية كانت تشترط تزكية مسبقة من يوسف شاهين، من أجل تمويل أي أفلام لمخرجين آخرين[6]، وكأن شاهين صار عرّاباً للسينما الفرنكوفونية في مصر.

وإذا نظرنا لأفلام شاهين خلال عقد التسعينيات وما بعده، سنجد أنها تغازل في مضمونها ورسائلها الرؤية الفرنسية للعالم، المعادية للعولمة والأمركة، والرافضة للهويات العربية الإسلامية، حيث ترى أن التقدم للمستعمرات الفرنسية السابقة ينبغي أن يكون وفق النموذج الفرنسي لغوياً وفكرياً وقيمياً وأخلاقياً وحضارياً، وبالطبع فإن هذا لا يحمله كل فيلم، وإنما يكفي أن يدور الفيلم حول موضوع بعينه، ضمن هذه الدائرة الفكرية والقيمية المتفرنسة.

أما المخرج التونسي عبداللطيف كمشيش، فقد تمتع بدعم فرنسي لأفلامه المتتابعة، ودائماً ما يفتح لها مهرجان «كان» أبوابه، فقد درج هذا المخرج على تقديم ما يسمى بسينما الصدمة، باختيار مضامين صادمة للمتلقي في العالم العربي، متباهياً بكسره المحرمات.

إن السينما العربية التي ترعاها الفرنكوفونية وترحّب بها وتحتفي بمخرجيها في مهرجاناتها، فضلاً عن عرضها في دور السينما الفرنسية؛ يُعَدُّ دليلاً واضحاً على استمرار فرنسا في نفس رؤيتها الاستعمارية الاستشراقية، التي ترى في المجتمعات العربية انغلاقاً وكبتاً، وتحصر المسألة كلها في المشكلات الجنسية وقضايا المرأة، وتتغاضى عن مشكلات الفقر والفساد، ولا تقدّم صورة حقيقية عن واقع الحياة والأزمات في المجتمعات العربية، بل تقدم ما ألفه المشاهد الغربي الذي يتنعم بالحرية ومستويات المعيشة المرتفعة، وينظر باحتقار إلى شعوب المستعمرات، غير مدرك أن رفاهية فرنسا مأخوذة من نهب ثروات الشعوب الفقيرة.■

عدد من المخرجين العرب ارتبطوا فكرياً بالمشروع الفرنكوفوني في أعمالهم على رأسهم شاهين

أفلام شاهين خلال التسعينيات تغازل في رسائلها الرؤية الفرنسية للعالم

الهوامش

(1) الموسوعة الاقتصاديّة الاجتماعيّة، إسماعيل عبدالفتّاح، نشر خاص، 2005، ص373.

(2) الفرنكوفونية: دراسة في المصطلح والمفهوم والتطور التأريخي، وليد كاصد الزيدي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2020، ص18.

(3) المرجع السابق، ص83.

(4) الفرنكوفونية: أيديولوجية، سياسات، تحد ثقافي لغوي، د. عبدالإله بلقزيز، في كتاب الفرنكوفونية (أبحاث وحلقة نقاشية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص29.

(5) جاء هذا في حوار حسين فهمي مع قناة «CBC» المصرية، في 2011/11/20م https://www.hespress.com/art-et-culture/41563.html

(6) حوار جابي خوري على موقع «البوابة نيوز»، 2017/10/3م https://www.albawabhnews.com/2740672

الاقتراض لسد عجز الموازنة المصرية.. هل هو الحل؟

«المجتمع»- طارق الشال:

طرح البنك المركزي المصري، في 6 سبتمبر الماضي، أذون خزانة بقيمة 19 مليار جنيه مصري (1.2 مليار دولار)، في ظل مجموعة من الديون التي تعمل الحكومة المصرية على اقتراضها خلال الفترة الحالية، بغرض سد عجز الموازنة العامة، وتدبير النفقات من خلال سندات وأذون الخزانة على آجال زمنية مختلفة، وتعتبر البنوك الحكومية أكبر المشترين لها.

وقد قامت وزارة المالية المصرية، في 30 أغسطس 2020م، بطرح سندات خزانة بقيمة إجمالية بلغت 7 مليارات جنيه (442 مليون دولار)، وذكرت الوزارة، عبر موقعها الإلكتروني، أنه تم طرح سندات خزانة أجل 3 سنوات بقيمة 4 مليارات جنيه بمتوسط سعر فائدة بلغ 14.563%، وبلغ أعلى سعر 14.59%، وأقل سعر 14.4%.

وتعتزم الحكومة المصرية اقتراض ملياري دولار من تحالف مصرفي يضم بنوكاً عربية وعالمية لصالح وزارة المالية لسد عجز الموازنة في العام المالي، وذلك عقب موافقة البرلمان وتوقيع عقود الانتهاء من جميع الإجراءات.

ويضم التحالف المشارك في تدبير القرض ما يقرب من 12 بنكاً عربياً وعالمياً، بينها «أبوظبي الأول»، و«الإمارات دبي» بصفتهما المرتبين بجانب بنوك «المشرق»، «إتش إس بي سي»، «سيتي»، «ميتسوى سوميتومو»، «ABC» البحرين.

وضاعفت الحكومة قيمة القرض إلى ملياري دولار بدلاً من مليار دولار كانت قد طلبت من بنكي «أبوظبي الأول» و«الإمارات دبي» الإماراتيين، تدبيره قبل شهرين تقريباً بغرض سد فجوة التمويل للعام المالي الحالي 2020/ 2021م.

ومن المتوقع أن تصل قيمة العجز في الموازنة العامة للدولة إلى 389.1 مليار جنيه خلال الفترة من يوليو2019م إلى مايو 2020م.

الحكومة تعتزم اقتراض ملياري دولار من تحالف مصرفي يضم بنوكاً عربية وعالمية لسد عجز الموازنة

الدين لا يزال يلتهم نحو 89% من الناتج المحلي ويتوقع تزايد تلك الأرقام مع نهاية عام 2020م

أسباب العجز

ورفعت مصر في مطلع مايو توقعاتها للعجز الكلي في الميزانية في السنة المالية الحالية 2019/ 2020م إلى ما يتراوح بين 7,8 و7.9% بسبب أزمة فيروس «كورونا» المستجد من توقعات سابقة عند 7.2%.

وبحسب الخبير الاقتصادي، أحمد ذكرالله، في حديثه لـ«المجتمع»، فإن أسباب عجز الموازنة في مصر تكمن في العجز المزمن في الميزان التجاري ونقص الإنتاج والاعتماد على الواردات وعلى الإيراد الضريبي بصورة أساسية بشكل من أشكال تمويل الخزانة العامة للدولة حتى أصبح يقارب الـ75% من جملة الإيرادات.

وأضاف ذكرالله أن هناك عدم قدرة للدولة على تحقيق مستهدفها من الإيراد الضريبي، وإغفال أهمية الإيرادات غير الضريبية وتنويع مصادرها وزيادة مواردها المختلفة، فعلى سبيل المثال؛ تحصل الدولة

من نحو 30 شركة من شركات القطاع العام على ما يقارب 7 مليارات جنيه فقط، وبالتالي على الدولة الاهتمام بالإيرادات غير الضريبية.

وتوقع صندوق النقد الدولي عدم تحقق الإيرادات الضريبية التي جاءت في الموازنة الحكومية لعام 2019/ 2020م، بنقص 95 مليار جنيه (6 مليارات دولار)، كما توقع عدم تحقق قيمة الاستثمارات الحكومية الواردة في الموازنة الحكومية، بنقص 35 مليار جنيه (2.21 مليار دولار).

من جانبه، يرى الخبير الاقتصادي، عبدالحافظ الصاوي، في حديثه لـ«المجتمع»، أن أسباب ارتفاع عجز الموازنة في مصر هو أن الاقتصاد المصري يعتمد بشكل كبير على الاستهلاك وليس اقتصاداً إنتاجياً، كما يعتمد أيضاً على الإيرادات الريعية التي تأثرت بسبب أزمة «كورونا» بشكل كبير، فضلاً عن حالة الركود التي يعاني منها الاقتصاد المصري منذ فترة، وبالتالي وجدت الحكومة نفسها مطالبة بسداد التزامات كثيرة.

وأشار الصاوي إلى أن سوء الإدارة الاقتصادية لدى الحكومة المصرية فيما يتعلق بالاقتصاد الكلي بشكل عام والموازنة بشكل خاص أدى إلى ارتفاع عجز الموازنة؛ لأن الفجوة التمويلية الموجودة في مصر قائمة، وتقدر بحوالي 28 مليار دولار تقوم الحكومة بتدبير 18 ملياراً من الجهاز المصرفي والسوق المحلية المصرية، وتعتمد على 10 مليارات دولار من سوق السندات الدولية أو الاتفاقيات الثنائية أو المؤسسات الإقليمية والدولية، وأصبح هذا الأمر يمرر سنوياً لسد الفجوة التمويلية في مصر.

وتابع: ليس لدى الحكومة خطة لتدبير مصادر تمويل من المدخرات المحلية التي تعد واحدة من المشكلات الكبيرة في الاقتصاد المصري، فمعدل الادخار في مصر يعد من أقل معدلات الادخار بالعالم، وذلك بسبب تراجع دخول الأفراد في مصر ومرور الكثير منهم بحالة فقر أو إفقار بسبب السياسات الاقتصادية الموجودة منذ 7 سنوات ماضية.

تداعيات العجز

ويعد عجز الموازنة في أي دولة يعبر

أحمد ذكر الله

عبدالحافظ الصاوي

ذكرالله: هناك عدم قدرة للدولة على تحقيق مستهدفها من الإيراد الضريبي وإغفال الإيرادات غير الضريبية وتنويع مصادرها

الصاوي: هذه القروض سيقوم بسدادها الأجيال القادمة وستكون خصماً من حقهم في الحياة وتمتعهم بالموارد الاقتصادية

عن مدى نجاح أو فشل الحكومات في إدارة شؤون الدولة الاقتصادية، فهو ليس مجرد رقم.

فالعجز قد يكون مستهدفاً لتحقيق معدلات اقتصادية مرغوبة، كأن يكون بنسبة محدودة لا تتجاوز من 3 - 6%، بغرض تمويل أنشطة استثمارية، تخلق فرص عمل جديدة، وتساهم في زيادة القيمة المضافة للنشاط الاقتصادي، وهنا يكون العجز بالموازنة محدوداً ومحموداً.

وأشار ذكرالله إلى أن الاقتراض من أجل سد عجز الموازنة وتوفير السلع الأساسية للمواطنين وسداد القروض والفوائد يزيد من الاقتراض الداخلي والخارجي، وبخاصة أن عجز الموازنة في مصر ما زال في تزايد شديد، نتيجة تضاعف فوائد وأقساط الديون خلال الفترة الماضية.

وأضاف أن عجز الموازنة العامة ينعكس أيضاً على قدرة الدولة سلباً على تمويل الاستثمارات المحلية، وبالتالي نلحظ تردي الخدمات المقدمة في القطاعات الخدمية مثل الصحة والتعليم والمواصلات وغير ذلك بسبب عدم قدرة الدولة على تمويل مثل هذه المشروعات.

وتبلغ قيمة إجمالي مخصصات أقساط القروض وفوائدها 1.12 تريليون جنيه، حيث تقدر مخصصات سداد القروض بـ555,5 مليار جنيه، أما مخصصات فوائد الدين فتقدر بنحو 556 مليار جنيه، أي 48.8% من جملة المقدر من الاستخدامات بمشروع الموازنة.

وتمثل اعتمادات الفوائد، بدون الأقساط، 33% من إجمالي المصروفات، كما تمثل مدفوعات الفوائد أكبر باب على جانب المصروفات منذ عام 2015/ 2016م، وفق البيان المالي لوزارة المالية.

وأكد الصاوي أن آلية أذون الخزانة هي واحدة من الآليات المتبعة لدى الحكومة المصرية منذ فترة، وهي واحدة من أسباب تفاقم مشكلة الدين في مصر؛ لأن الحكومة أصبحت تقوم بما يسمى بتدوير الديون، فهي تصدر أذون الخزانة لسد عجز الموازنة ولسداد الديون القديمة، فتحولت أذون الخزانة من إجراء استثنائي إلى إجراء أصيل لدى الحكومة المصرية، وهي واحدة من أكبر أمراض الموازنة المصرية، لذلك فعلى الحكومة أن تدير أمورها بشكل يمكنها من الاستغناء عن قضية الديون.

إمكانية السداد

ولا يزال الدين يلتهم نحو 89% من الناتج المحلي الإجمالي المصري، كما أظهرت بيانات البنك ارتفاع الدين العام بنسبة 7.7% على أساس سنوي إلى 4,186 تريليون جنيه (نحو 266 مليار دولار) بنهاية سبتمبر 2019م، ومن المتوقع أن تتزايد تلك الأرقام مع نهاية عام 2020م.

بينما اعتبر الصاوي أن قدرة مصر على سداد الديون واحدة من القضايا التي تحتاج إلى شفافية من قبل الحكومة المصرية، واصفاً إياها بالمعضلة الكبيرة، مشيراً إلى أن حل مشكلة القروض بالنسبة لمصر يحتاج إلى إستراتيجية متوسطة وطويلة الأجل تحول الاقتصاد المصري من اقتصاد ريعي إلى اقتصاد إنتاجي، وأن يكون لديها رشادة اقتصادية في إدارة مواردها، والسعي للقضاء على الفساد وتوجيه الإنفاق بشكل صحيح.■

www.mugtama.com

كيف تنظر تركيا لاتفاقات التطبيع؟

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

في 15 سبتمبر الماضي، وقعت دولتا الإمارات العربية المتحدة والبحرين اتفاقاً لتطبيع علاقاتهما مع «إسرائيل» برعاية أمريكية مباشرة من الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، خطوة أدت لردود فعل كثيرة وكبيرة على المستوى العربي، لخطورتها وتوقيتها وارتداداتها المتوقعة على القضية الفلسطينية والمنطقة.

لكنها كذلك استحثت رد فعل تركياً منددا ورافضاً رغم العلاقات السياسية والدبلوماسية القائمة بين أنقرة وتل أبيب؛ ما يدفع للبحث في أسباب هذا الموقف التركي اللافت.

ورث حزب العدالة والتنمية، الذي تأسس في عام 2001م، وتسلم الحكم في بلاده في عام 2002م، دولة تركية وهي لها علاقات راسخة مع الاحتلال؛ فقد كانت تركيا أول دولة مسلمة تقيم علاقات دبلوماسية معه في عام 1949م، وهي علاقات نمت وتطورت مع الوقت والأحداث لتصل لمرحلة التحالف الإستراتيجي في تسعينيات القرن الماضي.

لم ينقلب الحزب تماماً على سياسات بلاده الخارجية، بل أعاد صياغتها وتفسيرها، وبالتالي استمر على العلاقات مع «تل أبيب» في سنواته الأولى، بل وسعى للوساطة بينها وبين دول أخرى في مقدمتها سورية والباكستان.

بيد أن العدوان الصهيوني على قطاع غزة نهاية عام 2008م، خلال المحادثات غير المباشرة بين سورية والكيان الصهيوني بوساطة تركية، ترك أثراً سلبياً جداً لدى الحكومة التركية، وفي عام 2009م حدثت حادثة دافوس الشهيرة بين «أردوغان»، و«شمعون بيريس»، التي دقت إسفيناً آخر في العلاقات بين الجانبين، وفي عام 2010م اعتدت القوات «الإسرائيلية» على سفينة «مافي مرمرة» التي حملت متضامنين ضد حصار غزة موقعة 10 شهداء أتراك؛ ما أدى لقطيعة في العلاقات الثنائية.

اشترطت أنقرة لعودة العلاقات ثلاثة شروط؛ الاعتذار، وتعويض عوائل شهداء السفينة، وكسر الحصار على غزة، مع الوقت، وبوساطة أمريكية، وصل الطرفان للحظة تطبيع العلاقات مجدداً بعد 6 سنوات من القطيعة (عام 2016م)؛ فقد كان رئيس وزراء الكيان الصهيوني «بنيامين نتنياهو» قد اعتذر هاتفياً عن الحادث، وتضمن اتفاق إعادة العلاقات بنداً لإنشاء صندوق لتعويض عائلات شهداء «مافي مرمرة»، وإشارة لسماح «تل أبيب» لأنقرة بإرسال مساعدات إلى غزة، وهو الأمر الذي تعثر ثم توقف لاحقاً.

رغم عودة العلاقات الدبلوماسية، لم تعد العلاقات بين الجانبين لسابق عهدها؛ ففي أكثر من محطة وحدث، عبّر الطرفان عن هواجس بل ومشاعر سلبية تجاه بعضهما بعضاً، بما في ذلك «شماتة إسرائيلية» ببعض التطورات السلبية في تركيا، وهو أمر يضاف إلى تناقض رؤية الطرفين لقضايا المنطقة وتعارض مصالحهما وأهدافهما فيها بشكل كبير.

العدالة والتنمية ورث تركيا ولها علاقات راسخة مع الاحتلال فلم ينقلب عليها بل أعاد صياغتها

www.mugtama.com

أكثر من ذلك، فقد أعادت تركيا سفيرها لدى الاحتلال وأعلنت سفيرَهُ لديها شخصاً غير مرغوب به، في مايو 2018م؛ احتجاجاً على قرار «ترمب» نقل سفارة بلاده إلى القدس، وتعامل الاحتلال الأمني الفظ مع مسيرات العودة في قطاع غزة؛ ما يعني أن العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الطرفين حالياً في مستوياتها الدنيا، رغم أن العلاقات الاقتصادية والتجارية بينهما بقيت على حالها ولم تتأثر سلباً.

لماذا الإدانة؟

والحال كذلك (أي وهناك علاقات دبلوماسية بينها وبين «تل أبيب») سيبدو غريباً أن تدين أنقرة اتفاق تطبيع العلاقات -أو ما سمي بـ«اتفاق سلام»- بين الاحتلال من جهة، والإمارات والبحرين من جهة أخرى، لكن الأمر يصبح مفهوماً بالنظر إلى زاوية تقييم تركيا للاتفاق من جهة، ودورها المتنامي مؤخراً في القضية الفلسطينية من جهة أخرى؛ فقد طوّرت تركيا في السنوات القليلة الأخيرة من دورها في القضية الفلسطينية ورفعت من سقف خطابها؛ حيث كانت في مقدمة الدول التي دعمت الجهود الفلسطينية الرسمية في الأمم المتحدة والمحافل الدولية، كما أنها تتمتع بعلاقات جيدة مع فصائل المقاومة الفلسطينية، ولا سيما حركة «حماس»؛ حيث استقبل الرئيس «أردوغان» قياداتها مراراً، وآخرها لقاؤه مع رئيس مكتبها السياسي إسماعيل هنية الذي اعترضت عليه الولايات المتحدة.

كما أن تركيا، وخلال رئاستها الدورية لمنظمة التعاون الإسلامي، قادت المنظمة في مواجهة قرار «ترمب» نقل السفارة للقدس، منظّمة قمتين باسم القدس، التي تنشط فيها المؤسسات المدنية التركية رغم قيود الاحتلال وتشديده على عملها.

لا تنظر أنقرة للاتفاق على أنه تطبيع لعلاقات طرفين سادت بينهما أزمات أو توترات سابقة، وإنما كاتفاق يهدف من جهة لتصفية القضية الفلسطينية، ومن جهة أخرى لإعادة صياغة المنطقة بما يضرها ويتعارض مع مصالحها.

تركيا طوّرت بالسنوات القليلة الأخيرة من دورها في القضية الفلسطينية ورفعت من سقف خطابها

فوفق الرؤية الأمريكية، التي تحدثت عن «تغيير الشرق الأوسط» أو بلورة «أجندة إستراتيجية جديدة» للشرق الأوسط، وفق ما نصّت عليه الاتفاقية، ثمة سعي لإنشاء «ناتو شرق أوسطي» يضم الكيان الصهيوني، بمعنى التعاون والتحالف بينه وبين الدول العربية بعد قبوله في المنطقة وإدماجه بها كدولة طبيعية.

وفق هذه الرؤية، يتحول الاحتلال لدولة طبيعية وجارة، بينما تتحول كل من إيران وتركيا إلى خصوم وأعداء، وبالتالي؛ ترى الأولى نفسها مستهدفة من هذا الاتفاق؛ بما يعني أنه لا يسعها البقاء في صفوف المتفرجين أو الصمت عنه.

أكثر من ذلك، ترى تركيا أن الاتفاق قد جمع بين خصمين لها في المنطقة؛ فكما سبق، لا تربطها حالياً علاقات جيدة مع الاحتلال، فضلاً عن وقوفه إلى جانب اليونان في نزاعه معها في شرق المتوسط، ومن جهة أخرى تبدو دولة الإمارات العربية المتحدة في الجهة الأخرى المواجهة لتركيا في معظم قضايا المنطقة؛ فهي تنظر لتركيا كدولة داعمة للتيارات الإسلامية في العالم العربي، وهي من الدول المنددة بدورها وعملياتها العسكرية في سورية والعراق، وهي من الداعمين للجنرال خليفة حفتر في ليبيا، بينما تدعم تركيا حكومة الوفاق الوطني بقيادة السراج، ورغم أنها ليست من دول حوض المتوسط، فإنها كانت إحدى 5 دول وقعت على بيان يندد بالأنشطة التركية في شرق المتوسط، ناعتة إياها بـ «الأنشطة غير القانونية»، فضلاً عن مشاركتها أكثر من مرة في مناورات عسكرية مع كل من اليونان و«إسرائيل».

أنقرة تنظر لاتفاق التطبيع على أنه لتصفية القضية الفلسطينية وإعادة صياغة المنطقة بما يضرها ويتعارض مع مصالحها

الأهم وربما الأخطر أن أنقرة تتهم أبو ظبي باستهدافها والإضرار بأمنها القومي، حيث ترى أنها من داعمي المنظمات الانفصالية الكردية في شمال سورية، كما تتهمها بالتدخل في الشأن الداخلي التركي، ومن ضمن ذلك دعم المحاولة الانقلابية الفاشلة في تركيا صيف 2016م.

وعليه، فإن قراءة أنقرة للاتفاق أبعد بكثير من كونه اتفاقاً عادياً لبدء علاقات دبلوماسية بين جانبين كانا في قطيعة ومواجهة، وإنما كخطوة إضافية في مسار إعادة تشكيل المنطقة بطريقة تجعلها هدفاً لعدة أطراف لا تحمل لها الود وتتناقض معها في المصالح والرؤى والأهداف.

وبالتالي، ورغم أن تركيا ما زالت تقيم علاقات دبلوماسية وسياسية مع الاحتلال، وإن بحدها الأدنى حالياً، فإنها اختارت التنديد بالاتفاق الموقع بين «تل أبيب» وأبو ظبي والمنامة، خصوصاً أنه يتجاوز الحد الأدنى المتوافق عليه عربياً والمتمثل في المبادرة العربية للسلام، وكذلك الحل الذي تدعو له المجموعة الدولية؛ وهو حل الدولتين.■

نافذة على مسلمي أفريقيا

أشرف عيد

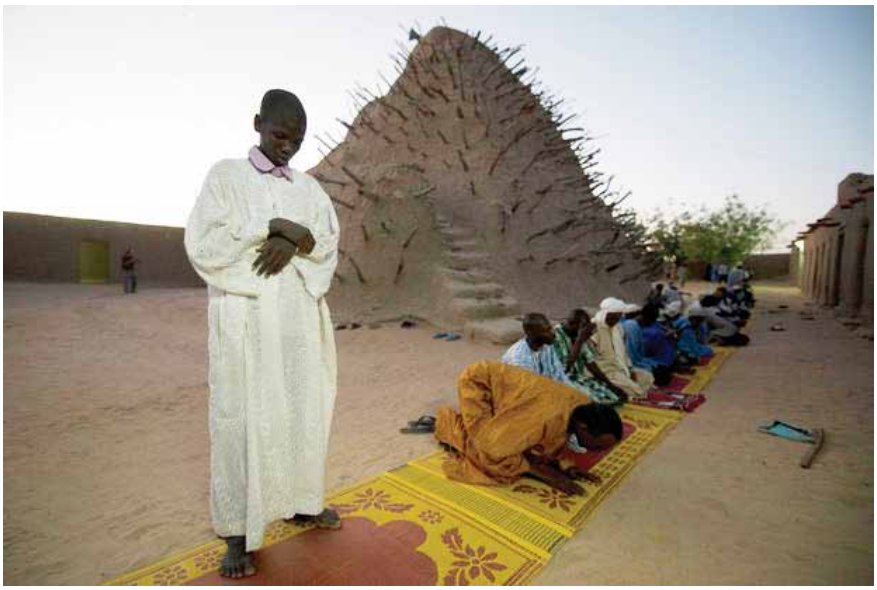

مالي.. فقر في وجود الموارد وهيمنة فرنسية رغم الاستقلال!

مالي دولة إسلامية قديمة قامت فيها ممالك إسلامية منذ القرن السابع الهجري، عرفت في المصادر التاريخية العربية باسم السودان الغربي أو بلاد التكرور، ويبلغ عدد سكانها نحو 15 مليوناً، يمثل المسلمون 90% منهم، وينتشر بينهم المذهب المالكي وكذلك الطرق الصوفية، ويعيش أغلب السكان في المنطقة الجنوبية من البلاد حيث يجري نهرا النيجر والسنغال، وليس لها حدود ساحلية، وتبلغ مساحتها 1240000 كيلومتر مربع، تحيط بها عدة دول؛ النيجر وبوركينا فاسو شرقاً، وموريتانيا والسنغال غرباً، والجزائر شمالاً، وغينيا وكوت ديفوار جنوباً، وعاصمتها باماكو، وخضعت للاحتلال الفرنسي واستقلت عنه عام 1960م، والفرنسية هي اللغة الرسمية في مالي، لكن توجد لغات أفريقية تستخدم على نطاق واسع أيضاً.

تعاني من الفقر رغم امتلاكها ثروات مائية ومعدنية وثالث أكبر منتج للذهب بأفريقيا

شهدت منذ استقلالها سيطرة الجيش على مقاليد الأمور فقد تولى 5 رؤساء تم الانقلاب على 4 منهم

تنقسم مالي إلى عدة مناطق، هي: باماكو العاصمة، وكايس، وكوليكورو، وسيكاسو، وسيغو، وموبتي، وتومبكتو، وغاو، وكيدال، ويسود فيها النظام القبلي، ومن أهم القبائل فيها: الطوارق الأمازيغ، والبمبرا، والماندينغو، والفولاني.

وهي دولة فقيرة رغم تعدد مواردها؛ حيث تمتلك ثروات مائية ومعدنية متنوعة، فهي تعد ثالث أكبر منتج للذهب في أفريقيا، ويشكل التعدين والصناعة جزءاً ضئيلاً من مصادر الدخل القومي فيها، وتعاني من سوء الخدمات الأساسية في التعليم؛ فمعظم السكان أميّون لا يعرفون القراءة والكتابة، و27% فقط من الأطفال يلتحقون بالمدارس، ويوجد بها مدارس عربية أشهرها مدارس دار القرآن والحديث بمدينة طوبى، وكلية الدراسات الإسلامية.

ويعيش معظم السكان في القرى، ويعتمدون في دخلهم على الزراعة، وأكثر من ثلثي السكان يعيشون تحت خط الفقر، والرعاية الصحية سيئة للغاية؛ حيث تعاني المستشفيات من نقص المتطلبات الأساسية في ظل وباء «كورونا» حالياً، وتنتشر فيها الملاريا التي تتسبب في أكبر نسبة للوفيات بين الأطفال، وتعاني مناطق كثيرة من سوء التغذية.

شهدت مالي منذ استقلالها حتى اليوم (1960 – 2020م) سيطرة الجيش على مقاليد الأمور في البلاد، فقد تولى خمسة رؤساء تم الانقلاب على أربعة منهم، وهم:

– «موديبو كايتا»، عام 1960م، الذي حكم مالي بقبضة عسكرية طوال 8 سنوات، شكل خلالها «مجلساً عسكرياً للتحرير الوطني» أوكلت له مهمة قيادة البلاد، حتى قام الملازم «موسى تراوري» بالانقلاب العسكري عليه، في 19 نوفمبر 1968م.

– تولى قائد الانقلاب «موسى تراوري» رئاسة الدولة لمدة 23 عاماً (1968 – 1991م)، شكل خلالها «لجنة عسكرية» جمع فيها منصب رئيسي الدولة والحكومة، حتى قام الكولونيل «أمادو توري» بإنهاء حكمه بالانقلاب العسكري عليه، في 26 مارس 1991م، عقب انتفاضة شعبية تندد بتدهور الأوضاع الاقتصادية.

– تولى قائد الانقلاب «أمادو توري» رئاسة الدولة لفترة انتقالية لمدة عام، عقد فيها انتخابات رئاسية، فاز فيها المعارض «ألفا عمر كوناري»، عام 1992م، الذي استمر

www.mugtama.com

في الحكم لولاية رئاسية ثانية حتى عام 2002م، تنسمت فيها مالي عبير الحكم الديمقراطي، فقد عمل «كوناري» على محاربة الفساد وتحقيق الإصلاح السياسي والاقتصادي، وأصبح وسيطاً بارزاً في النزاعات الأفريقية.

– وعاد الجنرال «أمادو توماني توري» إلى الحياة السياسية ليتم انتخابه، في 8 يونيو 2002م؛ ثم أعيد انتخابه مرة ثانية، عام 2007، حتى قام الكابتن «أمادو سانوغو» بالانقلاب العسكري عليه، في 21 مارس 2012م، وأعلن الاتحاد الأفريقي تجميد عضوية مالي على إثر الانقلاب، وأدانت دول أوروبية وأمريكا الانقلاب، كما أدانت دول الجوار مع مالي الانقلاب ووصفته بأنه غير دستوري.

– نظم المجلس العسكري الانتقالي انتخابات رئاسية، عام 2013م، فاز فيها «إبراهيم أبو بكر كيايتا»، حتى أطاح به الجيش بانقلاب عسكري، في 18 أغسطس 2020م، على خلفية تظاهرات ضده؛ ليخرج الرئيس بعد اعتقاله بساعات يعلن استقالته حقناً للدماء، وأعلن قادة الجيش تشكيل «اللجنة الوطنية لإنقاذ الشعب»، وتعهدوا بانتقال سياسي مدني يؤدي إلى انتخابات عامة، مؤكداً أن كل الاتفاقات الدولية التي أبرمتها مالي ستُحترم.

ويستمر سيناريو الانقلابات العسكرية في مالي في التكرار تحت دعوى تحقيق مطالب الشعب، ويصبح أي رئيس يتولى السلطة مهدداً بانقلاب الجيش عليه حتى لو كان قائداً سابقاً في الجيش.

احتلال فرنسي غير مباشر

استقلت مالي عن فرنسا عام 1960م، لكن قرارها السياسي والاقتصادي لم يستقل عنها، فقد عملت فرنسا على تغيير طريقة الاحتلال العسكري المباشر بالاحتلال غير المباشر، واحتفظت لنفسها بقواعد عسكرية في منطقة غرب أفريقيا تخول لها التدخل العسكري في أي وقت تتهدد فيه مصالحها.

وارتبطت مالي بفرنسا بروابط سياسية وعسكرية واقتصادية وبمعاهدات تضمن تبعية مالي لفرنسا، ومن تلك المعاهدات:

– اتفاقية الدفاع العسكري المشترك التي تجمع فرنسا بـ21 دولة أفريقية من بينها

فرنسا عملت على الاحتلال غير المباشر لمالي واحتفظت بقواعد عسكرية لحماية مصالحها

.. وتسعى لمنع قيام كيان إسلامي يهدد مصالحها بالمنطقة

مالي؛ تُحتِّم عليها مساعدة دولة مالي في حالة نشوب صراعات تهدد كيان الدولة.

– ربطت فرنسا مستعمراتها السابقة بما فيها مالي بـ«منطقة الفرنك الفرنسي الأفريقي» (CFA)، وهي عملة موحدة لمجموعة دول غرب أفريقيا بما فيها مالي.

وتترسخ عقيدة سياسية وأمنية لدى فرنسا بأهمية الحفاظ على النظام المؤيد لها في مالي، ومن ثم فإن أي تغييرات تطرأ في مالي تتعارض مع أهداف ومصالح فرنسا؛ فإنها تقوم بالتدخل السريع لاستعادة الأوضاع، والحيلولة دون حدوث تغييرات سياسية يمكن أن يكون لها تأثير مباشر أو غير مباشر على المصالح الفرنسية هناك، فعلاقة فرنسا بدول أفريقيا بما فيها مالي مصيرية لها، فهي تتعلّق ببقاء واستمرار فرنسا كقوة عالمية؛ حيث تسيطر المؤسسات والشركات الفرنسية في مالي على 65٪ من قطاع الخدمات، و20٪ في التجارة، و15٪ في قطاع الصناعة، وعدد المستثمرين الفرنسيّين في مالي يبلغ نحو 5 آلاف مستثمر.

وتُعتبر فرنسا المستورد الأول للمواد الخام من غالبية دول غرب أفريقيا بشكل عام، ودولة مالي بوجه خاص، كما تعد مالي سوقاً كبيرة للصناعات الفرنسية.

التدخلات العسكرية الفرنسية

وعقب الانقلاب العسكري على الرئيس المالي «أمادو توماني توري»، في 21 مارس 2012م، استولت الجماعات الإسلامية المسلحة على شمال مالي الذي تعتبره فرنسا منطقة نفوذ حيوي؛ فسارعت فرنسا إلى بدء عملية عسكرية هناك مستغلة قواعدها العسكرية في منطقة غرب أفريقيا، ولم تنتظر قراراً من مجلس الأمن، متذرعة بحماية مالي من النموذج الصومالي والمحافظة على سلطة الدولة.

لم يكن التدخل العسكري الفرنسي في مالي الأول، إذ تدخّلت فرنسا منذ عام 1960م أكثر من 40 مرّة في نزاعات أفريقية، فأحياناً تتدخّل لفائدة أنظمة سلطويّة أو دكتاتورية، وأحياناً أخرى لمساندة جانب سياسي على حساب آخر، بيد أن مصالح فرنسا كانت دائماً الدافع الثابت لتدخّلاتها العسكرية في أفريقيا، وإن كانت بمسوغات متغيّرة، وكان واضحاً حرص فرنسا وبعض الدول داخل النظام الدولي على تضخيم ما حدث في مالي جرّاء الانقلاب العسكري الأخير، في عام 2012م، وتصويره على أنه إرهاب، وأنه لا بد لفرنسا أن تتدخل لإعادة سيادة مالي على أراضيها، إلا أن الواقع يشير إلى أن الدافع الرئيس لفرنسا كان الحفاظ على مصالحها والإبقاء عليها، ومنع قيام كيان إسلامي يهدد مصالحها في المنطقة، والسعي لاسترجاع نفوذها ومكانتها، والسيطرة على ما تملكه مالي وتزخر به من ثروات ومواد أولية مهمّة، وهذا يجسّد إعادة ترتيب المنطقة، وإعادة توزيع الموارد الحيوية بين الشركات المتعددة الجنسيات.■

المصادر

1 – عادل مساوي، المواقف الدولية من الأزمة في شمال مالي، ورقة مقدمة في ندوة «المغرب العربي والتحولات الإقليمية الراهنة»، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، فبراير 2013.

2 – عبير الفقي: أزمة مالي والوجود الفرنسي الاستعمار في شكله الجديد، المجلة الأفريقية للعلوم السياسية، سبتمبر 2018.

3 – عبير شليغم: التدخل الفرنسي في مالي: البعد النيوكولونيالي تجاه أفريقيا، المركز العربي للبحوث والدراسات، الأحد 15 فبراير 2015.

4 – حسين جواد قبيسي، ملابسات التدخل الفرنسي العسكري في مالي مجلة أفق، العدد 301، يناير 2013.

5 – مادي إبراهيم كانتي، التدخل العسكري الفرنسي في مالي، آفاق أفريقية، المجلد 11، العدد 38، 2013.

اقتصاد إسلامي

الفساد من منظور الاقتصاد الإسلامي

الفساد آفة العصر، وإذا كانت الأمم المتحدة اتخذت من التاسع من ديسمبر يوماً دولياً لمكافحة الفساد، وعرفت الفساد بأنه: «سوء استعمال السلطة العامة لتحقيق مكسب خاص»، فإن الإسلام ونظامه الاقتصادي حارب الفساد على مدار الوقت، وجعله آفة ومعرة ومهلكاً للأمم، فالفساد نقيض الإصلاح، ومن خلاله تضيع الحقوق وتُنتهك المصالح وتقتل الروح المعنوية تقتيلاً.

د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

أشار القرآن الكريم إلى الفساد كسلوك شائن بغيض ومصيره مهلك مهين في العديد من آياته، منها قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة)، ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ من بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 27)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة).

وقد قال الله تعالى في حق فرعون: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4)، وفي حق قارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77)، وعن طغاة قوم ثمود ورؤوسهم: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل: 48)، وعن قوم شعيب: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود)، وعن اليهود: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: 64).

وبيَّن عز وجل أن الفساد نتيجة طبيعية للطغيان والاستبداد، وهو يصل بصاحبه في نهاية المطاف إلى النهاية المحتومة من هلاك ودمار وعذاب؛ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر).

مضار الفساد:

يمكن إبراز أهم مضار الفساد فيما يلي:

1 – الفساد يمثل سرقة لثروات الأمة؛ فهو يسرق من المواطنين قدراتهم الكامنة كما يسرق منهم طموحاتهم وتطلعاتهم نحو مستقبل أفضل وتعليم أحسن ورعاية صحية أشمل وقدرة أكبر على الحصول على المسكن والطعام والمياه وغيرها من ضروريات الحياة.

2 – الفساد يؤدي إلى إهدار سيادة القانون، والتشكيك في فعاليته وفي قيم الثقة والأمانة، إلى جانب تهديده للمصلحة العامة من خلال إسهامه في خلق نسق قيمي تعكسه مجموعة من العناصر الفاسدة أو ما يسمى «Public bads»؛ وهو ما يؤدي إلى ترسيخ مجموعة من السلوكيات السلبية في المجتمع؛ ومن ثم انتشار الجريمة وتهديد الاستقرار السياسي والاجتماعي والأمني، وسيادة الشعور بالاغتراب لدى المواطن العادي، وبأن القانون لا يطبق سوى على الفقراء ومن ثم انهيار منظومة القيم الأخلاقية.

3 – الفساد يعوق عمليات التنمية ويضعف النمو الاقتصادي؛ حيث يؤثر على استقرار وملاءة مناخ الاستثمار، ويزيد من تكلفة المشروعات ويهدد نقل التقنية، ويضعف الأثر الإيجابي لحوافز الاستثمار بالنسبة للمشروعات المحلية والأجنبية؛ ومن ثم تطفيش رأس المال سواء أكان محلياً أم أجنبياً، ويؤثر على روح المبادرة والابتكار ويضعف الجهود لإقامة مشروعات استثمارية جديدة.

4 – الفساد يؤثر على كل من العدالة التوزيعية والفعالية الاقتصادية، ويحول دون التخصيص الأمثل للموارد، نظراً لارتباطه

يعوق التنمية ويضعف النمو الاقتصادي حيث يؤثر على استقرار مناخ الاستثمار ويزيد من تكلفة المشروعات

يدفع ذوي النفوس الضعيفة للربح غير المشروع بالرشى والإيرادات الريعية بدلاً من المشاركة بالأنشطة الإنتاجية

بإعادة توزيع أو تخصيص بعض السلع والخدمات، حيث يسهم الفساد في إعادة تخصيص الثروات لصالح الأكثر قوة، لا سيما في حالة زواج السلطة بالمال، وقد تعرض ابن خلدون لذلك في مقدمته بتناوله «الجاه المفيد للمال».

5 – الفساد يعمل ضد الشورى والعدالة؛ لأنه يزيد من سلطة ونفوذ الأثرياء ويوجه قرارات نظام الحكم وفقاً لمصالح المفسدين، ويوسع الفجوة بين الطبقات، ويؤذي الشريحة الفقيرة من المجتمع ويزيدها فقراً، ويزيد من البطالة ونسبة المهمشين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

6 – الفساد يؤدي إلى إضعاف جودة البنية الأساسية والخدمات العامة، ويدفع ذوي النفوس الضعيفة للسعي إلى الربح غير المشروع عن طريق الرشى والإيرادات الريعية بدلاً من المشاركة في الأنشطة الإنتاجية، ويحد من قدرة الدولة على زيادة الإيرادات، ويفضي إلى معدلات ضريبية متزايدة تجبى من عدد متناقص من دافعي الضرائب، ويزيد من الأموال المحولة للخارج لغسلها؛ وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى زيادة العجز في ميزان مدفوعات الدولة ومن ثم عجزها عن توفير الخدمات العامة الأساسية.

7 – الفساد يقوم بتغيير تركيبة عناصر الإنفاق الحكومي، إذ يبدد أصحاب الثروة والسلطة موارد عامة أكثر على البنود التي يسهل ابتزاز رشى كبيرة منها مع الاحتفاظ بسريتها، ويلاحظ أن الأجهزة الحكومية التي ينتشر فيها الفساد تنفق أقل على الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة، وتتجه إلى الإنفاق بشكل أكبر على مجالات الاستثمار المفتوحة للرشوة وغسل الأموال.

علاج الفساد:

علاج الفساد يتطلب إلى من يقف أمامه ويزيله من جذوره، فلا إصلاح مع فساد، فهما نقيضان لا يجتمعان، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أهمية مقاومة الفساد وعدم الركون إليه وعدم اليأس من الإصلاح، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود)، وشاء الحق سبحانه أن يجعل أمة محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم خير الأمم بشرط أن يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر؛ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 110)، ومن أهم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قطع دابر الفساد وإعلان الحرب على المفسدين، من خلال ما يلي:

1 – وجود شورى وعدالة حقيقية يشعر من خلالها المواطن بكرامته والقدرة على التغيير، ويشعر الجميع أنهم متساوون أمام القانون، وأنه لا يوجد شخص فوق القانون؛ «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يديها»، والتأكيد على استقلالية القضاء وفاعليته، والفصل بين السلطات، واحترام حقوق الإنسان المدنية والسياسية، ومنح مؤسسات المجتمع المدني حريات الرأي والتعبير والاجتماع.

2 – إرساء مبادئ النزاهة والشفافية والإفصاح والحوكمة في جميع العمليات الحكومية، وإرساء مبدأ المساءلة قيداً على سلوك القائمين على شؤون السلطة، وإصلاح الجهاز الإداري وتحقيق الكفاية المعنوية والمادية له، ببناء كادر حكومي يتقاضى أجوراً جيدة، مع الاعتماد في التعيين والترقي على الكفاءة لا الولاء، ووضع بنية تشريعية –كماً وكيفاً– لمكافحة الفساد وتفعيل تنفيذها.

3 – تكاتف قوى المجتمع المدني والقطاع الخاص والدولة في جهود مكافحة الفساد، وإتاحة الفرصة لوسائل الإعلام المسؤول والصوت الحر المسموع في مكافحة الفساد، مع بذل الجهود المكثفة لتحسين الاقتصاد ورفع مستويات المعيشة وتعزيز بيئة الأعمال التجارية.

4 – تفعيل القيم الإيمانية والخلقية وإرشاد وتربية الأفراد على حرمة المال العام، فذلك أقرب الوسائل لمنع الفساد؛ لأن الوازع النفسي أقوى وأعم من الوازع الخارجي، وإن كان لا بد من الجمع بينهما.

5 – ترسيخ مبدأ من أين لك هذا؟ وتطبيق العقوبة الشرعية الرادعة للقضاء على الفساد والمفسدين جزاء نكالاً لفسادهم وجشعهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 33).

6 – ترسيخ مفهوم الإدارة بالقدوة التي أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيَّنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: 21)، وسار على نهجه خلفاؤه الراشدون من بعده حتى قال علي بن أبي طالب، لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قولته المشهورة: «عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا»، كما أن لنا عبرة حسنة في عمر بن عبدالعزيز وحربه على الفساد، حتى إنه في نحو ثلاثين شهراً فاض بيت مال المسلمين بالأموال، وعجز أن يجد فقيراً محتاجاً.■

تفعيل القيم الإيمانية والخلقية وتربية الأفراد على حرمة المال العام أقرب الوسائل لمنع الفساد

يجب ترسيخ مفهوم الإدارة بالقدوة التي أرساها النبي وسار على نهجه خلفاؤه الراشدون من بعده

www.mugtama.com

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية..

الإمام الغَزَّالِي

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسيّ، الإمام الجليل، أبو حامد، الغَزَّاليّ حجَّة الإسلام، ومحَجَّة الدين التي يُتوصَّل بها إلى دار السَّلام.

جامع أشْتات العلوم، والمُبرِّز في المنقول منها والمفهوم.

جاء والناس إلى رَدِّ فِرْية الفلاسفة أحوجُ من الظَّلْماء لمصابيح السماء، وأفقر من الجَدْباء إلى قَطَرات الماء، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفيّ بجلاد مقاله؛ ويحمي حَوْزَة الدين، ولا يُلطِّخ بدَم المعتدين حَدَّ نصاله، حتى أصبح الدِّينُ وثيقَ العُرَى، وانكشفتْ غياهبُ الشبهات، وما كانتْ إلا حديثاً مُفْتَرَى.

هذا مع ورع طوى عليه ضميرَه، وخَلْوة لم يتَّخذ فيها غيرَ الطاعة سَمِيرَه.

ترك الدنيا وراء ظهره، وأقبل على الله يعاملُه في سرِّه وجَهْرِه.

ولد بطُوس، سنة خمسين وأربعمائة.

ويحكى أن أباه كان فقيراً، صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غَزْل الصوف، ويطوف على المتفقِّهة، ويجالسهم، ويتوفَّر على خِدْمتهم، ويجِدُّ في الإحسان إليهم والنَّفقة بما يمكنه، وأنه كان إذا سمع كلامَهم بكى، وتضرَّع وسأل الله أن يرزقَه ابْناً ويجعله فقيهاً؛ ويحضر مجالسَ الوعظ، فإذا طاب وقتُه، بكى، وسأل الله أن يرزقه ابْناً واعظاً، فاستجاب الله دعوَتَيْه.

قرأ في صباه طرَفاً من الفقه، ببلده، على أحمد بن محمد الراذكاني.

ثم سافر إلى جُرْجان، إلى الإمام أبي نصر الإسْمَاعِيلِيّ، وعلّق عنه «التعليقة»، ثم رجع إلى طوس.

قال الإمام أسعد الميهَنِيّ: فسمعتُه، يقول: قُطِعتْ علينا الطريقُ، وأخذ العيَّارون جميع ما معي، ومضوا، فتبعتُهم، فالتفت إليَّ مقدَّمهم، وقال: ارجع، وَيْحَك، وإلا هلكْتَ.

فقلت له: أسألُك بالذي ترجو السلامَة منه، أن تَرُدَّ عليَّ تعليقتي فقط، فما هي بشيء تنتفعون بـه، فقال لي: وما تعليقتك؟ فقلت: كتُبٌ في تلك المخْلاة، هاجرتُ لسماعها، وكتابتها، ومعرفة علْمها، فضحك، وقال: كيف تدَّعي أنك عرفْتَ علمها، وقد أخذناها منك فتجرَّدتَ من معرفتها، وبَقِيت بلا علم؟! ثم أمر بعضَ أصحابه، فسلَّم إليَّ المخْلاة.

قال الغَزَّالي: فقلتُ: هذا مُستنْطَق، أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيتُ طُوس، أقبلت على الاشتغال ثلاثَ سنين، حتى حفظتُ جميعَ ما علَّقْته، وصرْتُ بحيث لو قُطِع عليَّ الطريق لم أتجرَّد من علمي.

ثم إن الغَزَّاليّ قدم نَيْسابُور، ولازم إمام الحرمين، وجدَّ، واجتهد، حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة، والفلسفة، وأحكم كلَّ ذلك.

وفهم كلامَ أرباب هذه المعلوم، وتصدَّى للردِّ على مُبطليهم، وإبطال دَعاويهم، وصنَّف في كل فنّ من هذه العلوم كتباً، أحسن تأليفها، وأجاد وضعَها، وترْصيفها.

وكان رضي الله عنه شديدَ الذكاء، شديدَ النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قويّ الحافظة، بعيد الغَوْر، غوَّاصاً على المعاني الدقيقة، جَبَلَ علم، مناظراً، محْجاجاً.

ثم لما مات إمام الحرمين، خَرج الغَزَّاليّ إلى المعسكر، قاصداً للوزير نظام الملك، إذ كان مجلسُه مجمعَ أهل العلم، وملاذَهم، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه، وقهر الخصوم، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقَّاه الصاحب بالتَّعظيم، والتبجيل، وولَّاه تدريسَ مدرسته ببغداد، وأمره بالتوجُّه إليها.

www.mugtama.com

فقدم بغداد 484 هـ، ودرَّس بالنِّظاميَّة، وأعجب الخلقَ حسنُ كلامه، وكمالُ فضله، وفصاحة لسانه، ونكَتُه الدقيقة، وإشاراتُه اللطيفة، وأحبُّوه.

وأقام على تدريس العلم، ونشره، بالتعليم، والفُتْيا، والتصنيف، مدة، عظيمَ الجاه زائد الحِشْمة، عاليَ الرتبة، مسموع الكلمة، مشهورَ الاسم، تُضرَب به الأمثال.

إلى أن عزَفت نفسُه عن رذائل الدنيا، فرفض ما فيها، من التقدُّم، والجاه، وترك كلَّ ذلك وراء ظهره، وقصد بيت الله الحرام.

فخرج إلى الحج في ذي القَعدة، سنة 488هـ، واستناب أخاه في التَّدريس.

ودخل دمشق، سنة 489هـ، ثم توجَّه إلى بيْت المقدس، فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق، واعتكف بالمنارة الغربيَّة، من الجامع، وبها كانت إقامتُه.

قال الحافظ ابن عساكر: أقام الغَزَّاليّ بالشام نحواً من عشرين سنة.

ثم رجع إلى بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلَّم على لسان أهل الحقيقة، وحدَّث بكتاب «الإحياء».

وذكر الحافظُ ابن عساكر، أنه سمع «صحيح البخاريّ» من أبي سهل محمد بن عُبيدالله الحَفْصيّ.

ووزَّع أوقاته على وظائف، من خَتْم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب، والتَّدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصِّيام وسائر العبادات، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، ورضوانه.

وكانت وفاته يرحمه الله، بطُوس يوم الإثنين، رابع عشر جمادى الآخرة، سنة 505هـ.

قال أبو الفرج بن الجَوْزيّ، في كتابه «الثبات عند الممات»: قال أحمد، أخو الإمام الغزَّاليّ: لما كان يوم الإثنين، وقت الصبح، توضأ أخي أبوحامد وصلَّى، وقال: عليَّ بالكَفن، فأخذه، وقبَّله، ووضعه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدُّخول على الملك، ثم مدَّ رجليه، واستقبل القبلةَ، ومات قبل الإسْفار، قدَّس الله روحَه.

مصنَّفاته:

له في المذهب: «الوسيط»، و«البسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة».

وفي سائر العلوم: كتاب «إحياء علوم الدين»، و«الأربعين»، و«الأسماء الحسنى»، و«المستصفَى».

و«المنخول» في أصول الفقه، ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين.

و«بداية المجتهد» و«المآخذ» في الخلافيَّات[1].

العبر والفوائد التربوية والإيمانية:

- تأثير صلاح الأب على حسن نشأة الولد؛ فالله تعالى يستجيب لدعوة الآباء والأمهات وكل من دعاه صادقاً مخلصاً.

- طلب العلم من الصغر له التأثير الطيب المبارك في تميز المتعلم ونبوغه وتفوقه.

- العلماء والدعاة المخلصون همهم التعليم والتدريس والتربية والدعوة إلى الخير؛ ولذلك يخوض العلماء الحكماء غمار التعليم والتدريس رغم وعورته وصعوبته، فهو السبيل الأمثل للإصلاح ونشر الخير في المجتمع وتربية الشباب وتثقيفهم على خلق الإسلام ومعاني الإيمان، ونحن ما زلنا نتذكر الدعاة والخطباء الذين كانوا يدرّسون في مدارس دولة الكويت أمثال الأساتذة الفضلاء والمشايخ المكرمين طايس الجميلي، وعمر الأشقر، وعبدالله العتيقي، وأحمد القطان.. وغيرهم.

ولذلك يجب أن يهتم العلماء والمشايخ والدعاة بالعمل في المدارس والجامعات والمعاهد، وأن يتميزوا بالحكمة والمهنية والموعظة الحسنة.

- كثرة تنقل العلماء في الأمصار والأقطار والبلدان للتعلم والتعليم سمة من سمات علمائنا الربانيين.

- كثرة التصنيف والتأليف لعلمائنا رغم العوائق والصعوبات وقلة المواد والآلات، فكيف لو وجد علماؤنا السابقون ما بأيدينا من آلات وأجهزة وبرامج وأنظمة؟!

- الإفادة والتعلم من كل مواقف الحياة حتى يحصل المتعلم على الجودة والتميز.

- إن حسن الخاتمة تنتظر الصادقين المخلصين والعابدين الزاهدين الذين آثروا ما عند الله على الدنيا الفانية.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

مقال

حرب المناعة

د. أحمد عيسى:
دكتوراه جامعة برمنجهام كاتب وأديب

تتسابق القوى الاقتصادية الكبيرة مع الزمن ومع أنفسها والآخرين لصناعة لقاح ضد فيروس «كورونا» ينتج مناعة في الجسم البشري، من باب «وداوني بالتي كانت هي الداء»! وهناك حوالي 140 لقاحاً في المراحل الأولى من التطوير، وحوالي 24 لقاحاً يجري اختبارها الآن على البشر والجيوش في تجارب سريرية.

ويشك المتتبع لما يجري من شجون وجنون وفنون في العالم جراء هذا الفيروس، عن أصله وفصله وأمه وأبيه اللذين أنجباه وربياه في معاملهما، والآن يريدان أن يقاوماه، دون القضاء عليه، ويربحا من ورائه ثروات تعوض الفاقد، مستثمرة التخويف الإعلامي، والأرقام الإحصائية، ورمادية المستقبل وتوجساته.

والسؤال الذي يعشش في الأذهان كالخفافيش: هل كان ذلك الفيروس ضمن الاستعدادات لحروب جرثومية بيولوجية؟ وما حدود الصراع السياسي لإنتاج اللقاح؟

وهذا بالطبع لا ينفي وجود الفيروس وضرره، وواجب أخذ غاية الاحتياط والحذر.

حين أعلنت موسكو، في 11 أغسطس الماضي، عن إقرارها أول لقاح ضد «كوفيد-19»، وسمته «سبوتنيك 5» (Sputnik V)، كانت رسالة لها مدلولها، ففي عام 1956م أطلق الاتحاد السوفييتي القمر الصناعي «سبوتنيك» محققاً النصر في سباق الفضاء، والآن ها هي روسيا تقول: إنها حققت قفزة في مجال الطب، ولكن يبقى التشكيك الذي قوبل به إعلانها تذكيراً بضراوة المنافسة الدولية، وفي هذا السباق الآن تبرز الاتهامات بسلوك الطرق الملتوية، والتجسس، والمجازفة غير الأخلاقية، والغيرة، وسط حديث عن «القومية في توزيع اللقاحات».

في يوليو الماضي، اتهمت بريطانيا والولايات المتحدة وكندا وكالات الاستخبارات الروسية بقرصنة أبحاث اللقاحات، ثم اتهمت وزارة العدل الأمريكية مواطنين صينيين بقرصنة أبحاث اللقاحات نيابة عن وكالات استخبارات صينية.

كما أثارت تقارير بشأن خطط البلدين تجربة اللقاح في صفوف القوات المسلحة مخاوف أخلاقية، إذ إن أفراد الجيش لا يتمتعون بالحرية في رفض أو قبول أخذ اللقاح، وكان عقار تطوره شركة «كان سينو» (CanSino) بالتعاون مع الجيش الصيني قد تم إقرار استخدامه من قبل أفراد الجيش، في يونيو الماضي، قبل بدء المرحلة الثالثة من التجارب.

وبالتأكيد توجد بين الدول الغربية نزعة قومية في توفير اللقاحات -مثلما نرى في الولايات المتحدة وبريطانيا- بالعمل على حجز جرعات أولية كبيرة من إمدادات اللقاحات لمواطنيها.

إن السبب وراء الرمزية السياسية التي أعطيت للقاح «كوفيد- 19» هو أن القوى العظمى تعتبره انعكاساً لبطولتها العلمية واعترافاً بتفوق نظامها السياسي[1]، ناهيك عن المردود المالي في حال بيعه.

إبادة بالأمراض

نبهني أحدهم ونحن نتحدث عن الفيروس للبعد التاريخي، واستغلال انتفاء المناعة من قبل القوى «الاستعمارية»، الذين هم أجداد القوى الحالية، بطريقة لا إنسانية ولا أخلاقية، تذكرك بشيء مما يحدث الآن، خذ مثلاً تجربة مصل «كورونا» على بلاد فقيرة في الشرق الأوسط بلا مناعة، مستغلين تواطؤ الحكومات، وفقر الأفراد.

من الكتب المنشورة في هذا الشأن كتاب «الأوبئة والتاريخ.. المرض والقوة والإمبريالية»، حيث ذكر الكتاب أن الغزو الاستعماري كان أداة جبارة في إصابة شعوب الأمريكيتين بأمراض لم يكونوا يعرفونها؛ ما أدى إلى إبادة شعوبهما؛ حيث لم تكن هذه الشعوب البريئة النظيفة البعيدة عن أوبئة أوروبا تملك مناعة فعالة لمقاومة هذه الأمراض.

ويمثل لذلك بتدفق الآلاف من شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) الحاملين لفيروس الجدري إلى أمريكا بعد عقدين من وصول «كولومبوس» إليها، فوصل هذا الوباء إلى أمريكا الوسطى والمكسيك ابتداء من عام 1518م، وإلى شعوب حضارة «إنكا» من الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون في رخاء واستقرار، عام 1527م؛ مما أدى إلى إبادتها وهجرة العديد من القبائل، وإصابة قبائل أخرى، وهو ما أدى، حسب الكتاب، إلى انقراض 90% من شعوب الأمريكيتين الأصليين[2].

ومن القصص التي تروى عن جرائم الأوروبيين في إبادة الهنود الحمر قصة «البطانيات القاتلة»، فما هي؟

عندما حاول المستكشفون الإسبان

الغزو الاستعماري كان أداة جبارة في إصابة شعوب الأمريكيتين بأمراض لم يكونوا يعرفونها ما أدى إلى إبادة شعوبهما

الوباء بأوروبا يتوقف بفعل التقنيات التي تعتمد لمقاومته لكنه يستمر في غيرها 40 عاماً أو أكثر

شحن لقاح «كورونا» عبر أنحاء العالم سيكون أكبر تحدٍّ في مجال النقل على الإطلاق

احتلال البلاد، قدموا للهنود الحمر ملابس ملوثة بفيروس الجدري، ويعيد التاريخ نفسه حينما أرسلت القوات البريطانية عام 1763م خلال الحرب الفرنسية والهندية (البريطانيون في أمريكا ضد الفرنسيين والهنود الحمر) عدوى مرض الجدري إلى رؤساء القبائل الهندية؛ مما أدى إلى قتل معظم السكان الأصليين بسبب انتشار الوباء، حدث ذلك عندما أرسل قائد القوات البريطانية بطانيتين ومنديلاً ملوثة بالجدري إلى رؤساء هذه القبائل كهدية، حيث إن الجدري من الأمراض الفيروسية، شديدة العدوى.

ويشير الكتاب إلى العلاقة الوطيدة بين الإمبريالية ونشر الأوبئة، من جهة نشاط الشركات الكبرى التي كانت تشكل الأذرع الاقتصادية للإمبريالية، وكيف استثمرت في خلق بيئة وبائية سانحة لانتشار الأمراض، وذلك تحت اسم «تنمية الشعوب»، إذ عمدت هذه الشركات في غرب أفريقيا إلى إزالة الغابات واقتلاع الأشجار لاستعمالها في مد سكك الحديد في أوروبا، وتم إنشاء مساحات لمحاصيل جديدة مثل القطن وزيت النخيل والفول السوداني لا تطابق نوع التربة الموجودة؛ مما أدى إلى تخريب التربة وترك أشجار ضعيفة الجذور مكشوفة أمام عوامل التعرية المناخية، ونتيجة لتعرضها للحرارة الشديدة، وسقوط الأمطار الغزيرة، سرعان ما وهنت هذه التربة الرقيقة فوق قاعدة الصخور الصلبة، مما تسبب في شقوق وحفر مليئة بالماء، وفرت وضعاً مثالياً لتكاثر البعوض الناقل للحمى الصفراء والملاريا.

استعمار بيولوجي

كان نشر الأوبئة من الأساليب الفريدة التي استعملها الأوروبيون للقضاء على الشعوب الأصلية، فبحسب كتابه عن أرقام الشعوب الأصلية في أمريكا، للأمريكي «هنري دوبينز»، فقد تعرض هؤلاء لأكثر من 100 حرب جرثومية شاملة، منها 41 حرباً بالجدري، و25 بالسل، 17 بالحصبة، و10 بالأنفلونزا، و4 بالطاعون، والدفتريا والتيفوس والكوليرا.

استخدم الكاتب الدراسة المقارنة، مركزاً على تتبع ورصد وتحليل نمط وأسلوب التعاطي مع الوباء وطريقة مقاومته بين مجموعتين؛ المجموعة الأوروبية، والمجموعة

القوى العظمى تعتبر إنتاج لقاح «كورونا» انعكاساً لبطولتها العلمية واعترافاً بتفوق نظامها السياسي

الشرقية القديمة (الهند والصين ومصر)، فالمجتمعات الأوروبية التي استعملت تقنيات العلم الحديث، كانت لها أساليبها الخاصة في التحكم ومقاومة الأمراض المتوطنة فيها، وقد طورت تقنيات ومعارف نقلتها من علم الأوبئة العربي من المسلمين منذ القرن الرابع عشر، واستخدمتها في مقاومة أوبئة تعرضت لها بعد ذلك، في حين اضطرت المجتمعات القديمة، التي كانت لها تقنياتها الخاصة المتوارثة من ثقافتها في مواجهة الجدري والكوليرا والجذام، فبعد خضوعها لهيمنة الاستعمار والإمبريالية منذ القرن التاسع عشر اضطرت إلى استخدام التقنيات الأوروبية، فوقعت تحت طائلة الهيمنة الإمبريالية[3].

ويلاحظ الكاتب المفارقة في زمن الوباء

توزيع اللقاح في عموم أفريقيا سيكون مستحيلاً حالياً بالنظر إلى العجز في قدرات الشحن

بين المجموعتين، ففي الوقت الذي يتوقف الوباء في أوروبا بفعل التقنيات التي تعتمد لمقاومته، يستمر الوباء في المجموعة المقابلة أربعين عاماً أو أكثر، وتظل هذه الدول تحت سطوة الارتهان للدول الإمبريالية، فهل سيتكرر هذا الآن؟

قال الاتحاد الدولي للنقل الجوي: إن شحن لقاح لفيروس «كورونا» (إن وجد) عبر أنحاء العالم سيكون «أكبر تحدٍّ في مجال النقل على الإطلاق»، وذكر أن العملية ستحتاج الاستعانة بما يعادل 8 آلاف طائرة من طراز «بوينج 747» العملاقة.

«الإيصال الآمن للقاحات سيكون مهمة القرن بالنسبة لصناعة الشحن الجوي الدولية»، ويحتاج نقلها إلى المحافظة على درجة حرارة تتراوح بين درجتين و8 درجات مئوية، وبالتالي لا تصلح كل الطائرات لذلك، كما أن بعض اللقاحات قد تحتاج إلى أن تُنقل في درجة التجمد، والرحلات الجوية إلى مناطق معينة من العالم، بما في ذلك بعض المناطق في جنوب شرق آسيا، ستكون ضرورية جداً، حيث إن هذه المناطق تفتقر للقدرات على إنتاج اللقاحات.

وتوزيع لقاح في عموم أفريقيا سيكون مستحيلاً في الوقت الحاضر بالنظر إلى العجز في قدرات الشحن، وحجم المنطقة، والتعقيدات الخاصة بالمعابر الحدودية[4]، معنى هذا بقاء الفيروس نشيطاً في الدول الفقيرة، أو تزداد فقراً لشراء اللقاح، مع تعطيل الاقتصاد، وتستمر حرب المناعة.■

الهوامش

(1) لقاح «كورونا»: ما بين ألاعيب قذرة وتجسس ومجازفات غير أخلاقية، بي بي سي، 24 أغسطس 2020م.
https://www.bbc.com/arabic/features-53881575

(2) Epidemics and History: Disease, Power and Imperialism. Sheldon Watts. Yale University Press. 1999.

(3) Their Number Become Thinned: Native American Population Dynamics in Eastern North America. Henry Dobyns. University of Tennessee Press. 1983.

(4) فيروس «كورونا»: نقل لقاح عبر العالم «يتطلب 8000 طائرة عملاقة»، بي بي سي، 10 سبتمبر 2020م.
https://www.bbc.com/arabic/business-54100593

www.mugtama.com

قصة الاستشراق الفرنسي.. الوجه العلمي للهيمنة الفرنسية

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

في فرنسا، وإلى الجنوب من باريس، توقفت الفتوحات الإسلامية عند مدينة بواتيه، المعروفة في التاريخ العربي باسم «بلاط الشهداء» (114هـ/ 732م)، بعد الهزيمة التي أنزلها «شارل مارتل» بجيش عبدالرحمن الغافقي، وهي الهزيمة التي اكتسب بها «مارتل» سمعته الكبيرة في التاريخ الأوروبي باعتباره البطل الذي أوقف الزحف الإسلامي.

على أن بعض المستشرقين الفرنسيين، مثل «جوستاف لوبون»، تحسر بعد أكثر من ألف سنة على حصول هذه الهزيمة، وتمنى أن لو كان المسلمون قد حكموا فرنسا، يقول:

مجاورة فرنسا للأندلس ساعدت عدداً من الفرنسيين على الاحتكاك بالحضارة الإسلامية والتعرف إليها عن قرب

لما فشلت الحملات الصليبية بدأت محاولات دراسة التجربة من فرنسا لمعرفة أسباب الإخفاق وتحديد سبل العودة

«لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب، وأن العرب وجدوا جو شمال فرنسا غير بارد ولا ممطر كجو إسبانيا، فطابت لهم الإقامة الدائمة به، فماذا كان يصيب أوروبا؟ كان يصيب أوروبا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب إسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبي العربي، وكان لا يحدث في أوروبا التي تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية، وملحمة سان بارتملي، ومظالم محاكم التفتيش وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع الخطيرة التي ضرجت أوروبا بالدماء عدة قرون»[1].

لكن هذا الرأي كان هو النشاز والشذوذ، فمنذ ذلك الوقت وكانت فرنسا رأس حربة في عموم تاريخ العلاقات الإسلامية الغربية، كما كانت أيضاً رأس المبادرة في حركة الاستشراق التي هدفت إلى دراسة العالم الإسلامي وتقديم صورته للغربيين.

لقد استهدف الاستشراق هدفين كبيرين:

الأول: دراسة أحوال المسلمين للاستفادة بما عندهم من النظم والعلوم بغرض الانتصار عليهم.

الثاني: تقديم صورة المسلمين للشعوب الأوروبية التي كانت في ذلك الوقت غارقة في الجهل والظلام، حتى إنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة في عموم أوروبا في تلك العصور الوسطى سوى بعض الكهنة والأساقفة داخل الكنيسة.

كانت المجاورة بين فرنسا والأندلس من أهم العوامل التي ساعدت عدداً من الفرنسيين على الاحتكاك بالحضارة الإسلامية والتعرف إليها عن قرب، كذلك فإن شمال فرنسا كان هو الموطن الأول الذي خرج منه النورمان، أولئك الذين سيطروا لفترات على إيطاليا وألمانيا، وأولئك هم الذين أنهوا الوجود الإسلامي في جزيرة صقلية بعد قرنين من الزمن، إلا أنهم -أي النورمان- انبهروا بالحضارة الإسلامية؛ فكان بلاطهم عربياً، وثيابهم عربية، وتسمى ملوكهم بألقاب عربية مثل «الملك المعظم روجار المعتز بالله»، واستضافوا العلماء العرب كالإدريسي صاحب الخريطة المشهورة، ومع ذلك؛ فإنهم اضطهدوا المسلمين وضيّقوا عليهم في دينهم، حتى أفنوهم تماماً في عهد «فريدريك الثاني».

ومن فرنسا انطلقت الحروب الصليبية، التي هي أشهر الحوادث التاريخية في العلاقات الإسلامية الغربية، وكانت فرنسا المخزن الأكبر لإمداد الحروب الصليبية بالمال والرجال، وكان ملوك فرنسا وأمراؤها هم الأكثر حضوراً وبروزاً في سائر فصول الحروب الصليبية، حتى عُرف الصليبيون على اختلاف أعراقهم وبلادهم في الرواية الإسلامية بأنهم «الفرنجة».

وقد مثّلت هذه الحقبة الصليبية المنفذ الأكبر لتعرف الفرنسيين -وسائر الغرب- على الإسلام وحضارته ونظمه وتقاليده، ولما فشلت الحملات الصليبية واستطاع المسلمون تحرير أراضيهم، بدأت محاولات

البابا سلفستر الثاني

www.mugtama.com

دراسة التجربة من فرنسا، لتحديد أسباب الإخفاق وتحديد سبل العودة مرة أخرى إلى ديار المشرق.

بداية الاستشراق

وابتدأ الاستشراق على يد رجل فرنسي، هو البابا «سلفستر الثاني»، الذي درس في قرطبة وإشبيلية وفاس، وعرف علوم العرب، ثم تولى البابوية فأنشأ مدرستين للعلوم العربية، أحدهما في روما –مقر بابويته– والأخرى في موطنه مدينة ريمس، ثم أضيف إليها مدرسة شارتر، فهو أول من يوصف بالمستشرق.

وأول معهد لدراسة اللغات الشرقية في أوروبا نشأ في جامعة فرنسا، أنشأه البابا «هونوريوس الرابع» (1285م)، وهذا قبل 25 عاماً من الانطلاقة الرسمية للاستشراق في مجمع فيينا الكنسي الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات الشرقية (1312م)، وهو المجمع الذي كان تحت إشراف البابا «كليمنت» (إكليمنص) الخامس، وهو فرنسي أيضاً.

ومثلما كانت فرنسا صاحبة السبق في إنشاء كراسي للغات الشرقية، فقد سبقت إلى إنشاء كراسي للغة العربية على وجه الخصوص، لم يسبقها بذلك إلا إسبانيا التي أنشأت كرسياً للغة العربية بعد مجمع فيينا في سالامانكا، أما فرنسا فقد أنشأ الملك «فرانسوا الأول» كرسياً للغة العربية والعبرية

المستشرقون كانوا حاضرين بالموجة الثانية من الحروب الصليبية التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر

فرنسا ساهمت بدسائسها في تنصيب محمد علي والياً على مصر فكان هو وأسرته عهد النفوذ الفرنسي بها

في مدرسة ريمس عام 1519م.

وحين بلغ الاستشراق نضوجه في القرن التاسع عشر، لم يكن ثمة مستشرق أكثر شهرة من الفرنسي «سلفستر دو ساسي» الذي يُعَدُّ عميد الاستشراق الأوروبي، وتلاميذه الألمان هم مؤسسو المدرسة الاستشراقية الألمانية، وقد سخَّر هذا المستشرق إمكانياته لخدمة الاستعمار الفرنسي، وتذكر بعض المصادر أنه كان هو الذي ألقى خطاب القوات الفرنسية بعد احتلالها للجزائر، وقد روى رفاعة الطهطاوي في كتابه «تخليص الإبريز» قصة تدل على خبثه ومكره حيث استطاع خداع امرأة مسلمة حتى قبلت تنصير ولدها، ثم ارتدت عن الإسلام، كما روى ما يدل على غزارة علمه وتمكنه واتساع معارفه[2].

وكان المستشرقون حاضرين في الموجة الثانية من الحروب الصليبية التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر (1798م)، حيث لم يحضر «نابليون» إلا بناء على تقارير كتبها مستشرقون زاروا مصر واطلعوا على أحوالها، ثم لما حضر «نابليون» بجيوشه كان معه مجموعة من العلماء المستشرقين الذين فحصوا أحوال مصر فحصاً عظيماً دلَّت عليه موسوعتهم «وصف مصر»[3].

تنصيب محمد علي

ولما أخفقت الحملة الفرنسية في السيطرة على مصر، دخلت من الباب الخلفي؛ حيث استطاعت فرنسا اكتشاف محمد علي باشا، وساهمت في تنصيبه والياً على مصر بدسائسها بمصر وفي الأستانة، فكان عهد محمد علي وأسرته عهد النفوذ الفرنسي بمصر، حيث افتتحت في مصر المدارس الفرنسية، وجيء بالقانون الفرنسي ليحكم المعاملات التجارية وغيرها من الأمور المدنية فيما سوى الأحوال الشخصية، وزادت البعثات إلى فرنسا، وكان مؤسس جيش محمد علي رجلاً فرنسياً هو الجنرال «سيف» الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم «سليمان باشا الفرنساوي»، وبقي النفوذ الفرنسي عظيماً غالباً على مصر حتى جاء الاحتلال الإنجليزي الذي ما كان له أن يستقر لولا التمهيد الذي أحدثته أسرة محمد علي بتجريف وإبادة مقومات المجتمع المصري وكسر مواطن قوته وتحطيم موارده المعنوية.

ومع أن الإنجليز احتلوا مصر 70 عاماً فيما بعد، إلا أن اللغة المهيمنة على الطبقة الحاكمة والمترفة كانت هي اللغة الفرنسية.

وإذا كان هذا هو التأثير الفرنسي في بلد لم تحتله سوى 3 سنوات، فيمكن أن نتوقع –بل نحن نرى– كيف هو التأثير الفرنسي في الأقطار التي احتلتها سنين وقروناً مثل المغرب العربي والدول الأفريقية، بل إن تركيا التي لم تقع تحت الاحتلال الفرنسي وقعت عملياً تحت سطوتها الثقافية في أواخر العصر العثماني وفي عصر الاتحاد والترقي ثم في عصر الكمالية، وإلى الآن تزخر اللغة التركية الحديثة بالألفاظ الفرنسية.

كان الاستشراق الفرنسي هو الوجه العلمي للهيمنة الفرنسية، مثلما أن حركة

دور الاستشراق تحول ليكون التمهيد العلمي والبوابة الفكرية لإحكام الهيمنة على الشرق وإخضاعه

الاستشراق كلها إنما هي وسيلة من وسائل الهيمنة الغربية، فالاستشراق -كما يقول إدوارد سعيد- هو «المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه، وباختصار؛ بصفة الاستشراق أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه»[4].

ولقد اصطبغ الاستشراق بظروف نشأته الذي كان رد فعل أهوج غير عقلاني أمام التفوق الإسلامي، فتولى هو شيطنة المسلمين والتنفير منهم فيما يسميه د. محمد الشرقاوي «أكبر عملية تزييف وعي في التاريخ الإنساني».

لم تتغير هذه الحال بعد نضوج الاستشراق واختلاط المستشرقين بالمسلمين في مرحلة ما قبل الاستعمار أو ما بعده، وإنما تحول دور الاستشراق ليكون التمهيد العلمي والبوابة الفكرية لإحكام الهيمنة على الشرق وإخضاعه، بالبحث عن ثغراته، وبتبرير العملية الاستعمارية وإعطائها شرعيتها ومسوغاتها؛ ذلك أنه لم يكن مجرد حركة علمية بحثية موضوعية، إنما هو وسيلة ضمن وسائل وأداة ضمن أدوات وجزء من الشبكة الاستعمارية نفسها.

بين الاستشراق والسياسة

إن «ثمة روابط قوية متماسكة بين الخطاب الاستشراقي والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمنحه القوة، وقدرته الفائقة على الاستمرار.. إنه كيان له وجوده النظري والعملي، وقد أنشأه من أنشأه، واستُثْمِرَت فيه استثمارات مادية كبيرة على مرّ أجيال عديدة، وقد أدى استمرار الاستثمار إلى أن أصبح الاستشراق، باعتباره مذهباً معرفياً عن الشرق، شبكة مقبولة تسمح منافذها بتسريب صورة الشرق إلى وعي الغربيين، مثلما أدى تكاثر ذلك الاستمرار نفسه، بل وتحوله إلى مصدر حقيقي للإنتاج والكسب، إلى تكاثر الأقوال والأفكار التي تتسرب من الاستشراق إلى الثقافة العامة»[5].

تشبه هذه الحالة، مثلاً، أن تكون الأفلام والمسلسلات المصرية هي الرافد الوحيد الذي يعطي صورة عن المجتمع المصري؛ حيث إن الصورة التي تتكون عبر هذا الرافد تنتج بطبيعتها النفور من المجتمع المصري وازدراء أخلاقه واحتقار رجاله ونسائه، ولا يخفى على أحد أن الذي يزور مصر يجد صورة أخرى ومجتمعاً آخر، هذا مع أن هذه الأفلام والمسلسلات إنما هي نتاج الطبقة النخبوية المصرية التي تتحكم في صناعة الصورة وتقديمها، وهي رؤية نخبوية تغريبية للمجتمع المصري، وإن مجتمعاً يظهر بهذا القدر من الانحلال وفساد الأخلاق وانتشار العنف والجريمة فيه سيكون مقبولاً أن يجري احتلاله واستعباده بدواعي التحضير والتحرير والترقية والتنظيم.

هذا هو الذي صنعه الاستشراق بصورة الأمة الإسلامية لدى الشعوب، وفَّر للاستعمار الصورة التي تبرر الاحتلال والتدمير وتشرعن الهيمنة عليه لضرورات التحرير والتحضير.

لم يمنع هذا التاريخ من العلاقات الفرنسية مع العالم الإسلامي أن يظهر في المستشرقين الفرنسيين من عرف الحقيقة أو بعضها، فبعضهم أسلموا مثل «ناصر الدين آتييه»، و«موريس بوكاي»، وبعضهم وقف موقفاً منصفاً من الإسلام وحضارته ومجتمعاته، مثل «جوستاف لوبون»، و«لويس سيديو»، و«مارسيل بوازار»، و«جاك ريسلر»، و«دومينيك سورديل»، و«بلاشير»، و«إميل درمنجهم».. وغيرهم.■

جوستاف لوبون

الهوامش

(1) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص317.

(2) رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز، ضمن: الأعمال الكاملة، 2/70، 2/103 وما بعدها.

(3) عن تاريخ الاستشراق الفرنسي، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، 1/138 وما بعدها؛ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص78 وما بعدها، 207 وما بعدها.

(4) إدوارد سعيد، الاستشراق ص45، 46.

(5) المرجع السابق، ص50.

www.mugtama.com

عرض كتاب

الجامية في الميزان

دراسة موضوعية نقدية من بداية ظهورهم إلى وقتنا الحاضر

عرض - محمود المنير:

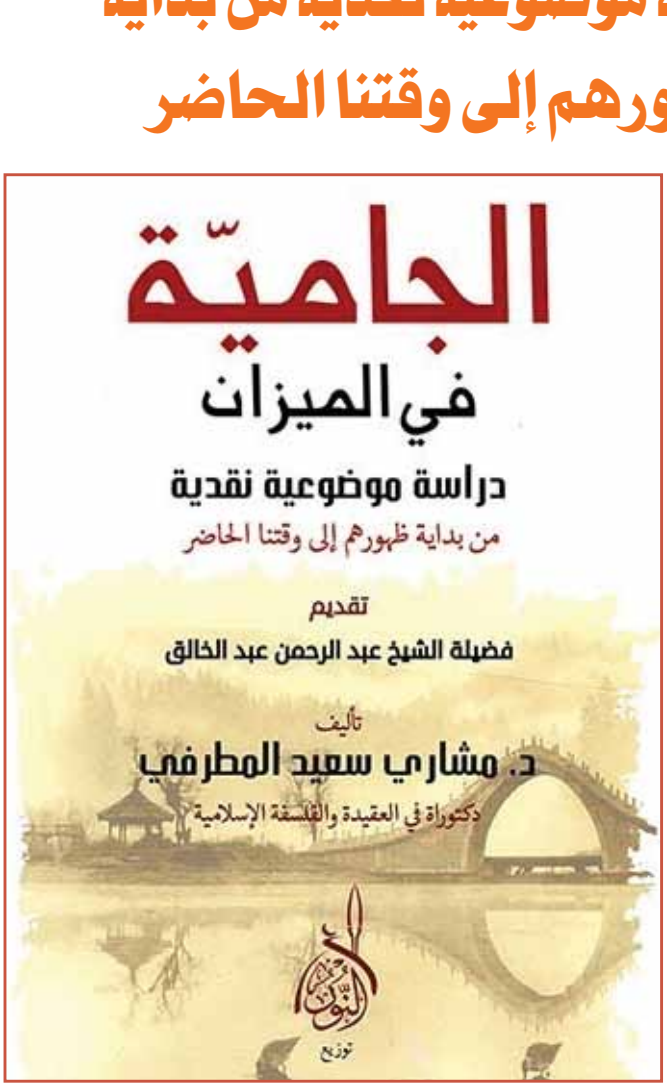

بيانات الكتاب

عنوان الكتاب: الجامية في الميزان.. دراسة موضوعية نقدية من بداية ظهورهم إلى وقتنا الحاضر.

المؤلف: د. مشاري سعيد المطرفي.

الناشر: دار النور المبين، عمّان، الأردن.

سنة النشر: الطبعة الأولى- 2019م.

عدد الصفحات: 500 صفحة.

هذا الكتاب:

يقدم هذا الكتاب دراسة موضوعية نقدية عن جماعة الجامية؛ حيث يرصد المؤلف تاريخها من بداية ظهورها إلى وقتنا الحاضر، وكيف حولت الخلاف الفقهي السائغ إلى عداء وخصومة، مروراً بتتبع لأصولها التي أسست عليه منهجها، وعقدت عليه الولاء والبراء، وذكر ظروف وأسباب نشأتها وخريطة انتشارها، وأشهر مسمياتها وأبرز رموزها، وتقسيماتها، وانتهاء بذكر أشهر موقفهم من علماء الأمة.

كما رصد المؤلف أقوال المؤسسات الدينية كاللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية، ومجمع الفقه الإسلامي في السودان، وأعلام الأمة كابن باز، وابن جبرين، وبكر أبوزيد، وعبدالرحمن عبدالخالق في هذه الجماعة.

والكتاب يعد مرجعاً علمياً موسعاً في موضوعه للباحثين والمهتمين بدراسة الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة.

يرى المؤلف أن ظهور هذا الكتاب بعد ثمانية عشر عاماً من ظهور هذه الجماعة ليس مناكفة لهم ولا ترفاً فكرياً، بل دفاعاً عن الحق وشهادة لله تعالى؛ لأن الكتاب يتناول تاريخ ومواقف جماعة ملأت ساحة العمل الإسلامي وشغلت الناس بأفكارها وفتواها الضالة والمضللة، ولا يزال أثرها السلبي في ميدان الدعوة إلى الله يؤرق كل غيور على هذا الدين لعرضه بهذه الصورة من الغلو والتحريف، ولا يزال شيوخها يعتلون المنصات الإعلامية التي تبث هذا الفكر الضال بين طلاب العلم وجمهور المسلمين، لذا اندفع المؤلف لتوثيق مسيرة هذه الجماعة لبيان التناقضات الفكرية والمنهجية التي تصدر عن شيوخها، وناقش أفكارهم بمنهج علمي رصين يكشف كيف أنهم اختطفوا مصطلح السلفية زوراً وبهتاناً، بينما هم أبعد ما يكونون عن منهج السلف.

ضم هذا الكتاب مقدمتين؛ الأولى لأحد رموز العمل الإسلامي السلفي وهو الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، الذي رصد فيها ابتداعهم في الدين في ثلاث دوائر، هي:

الأولى: ما قالوه في شأن الحكام الذين يحكمون في بلاد المسلمين.

الثانية: في شأن الدعوة والدعاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالثة: في أخلاقهم وما أحدثوه من الشرور والفتن.

ثم مقدمة المؤلف التي صدرها بأبرز معالم الجامية المدخلية وسماتها التي ستدور عليها الدراسة لبيان أنها من الفرق الضالة المنحرفة، ومنها:

1 - الطعن في العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتتبع زلاتهم ونشرها وتهويلها.

2 - تصنيف العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتبديعهم وتفسيقهم.

البدعة عندهم ليس لها تعريف معين ما أدى لإيقاع الناس في الحرج والدخول في المحظور

3 - ادعاؤهم أنهم الجماعة السلفية الوحيدة في عصرنا، وما عداهم من الجماعات الأخرى إنما هي جماعة ضالة منحرفة.

ثم قسم المؤلف الدراسة إلى أحد عشر مبحثاً تحدثت عن بداية ظهور الجامية، وسبب تسميتهم بهذا الاسم، وأهم رموزها، وأبرز من طعن فيهم الجامية، وانقسامهم، وطعنهم في بعضهم بعضاً، وأقوال أهل العلم فيهم، وفيمن سار على نهجهم، وموقف أهل السُّنة من العالم إذا أخطأ، وأهم سمات ومعالم الجامية.

واختتمت الدراسة برسالة إلى كل من احترف التصنيف فتاب، وإلى من رمي بالتصنيف فصبر، وهي جملة من الأصول الشرعية التي ينبغي على كل مسلم مراعاتها.

منهج المؤلف وأسلوبه:

استخدم المؤلف المنهج التاريخي الاستقرائي في تتبع تاريخ الجامية وشيوخهم ومواقفهم وما صدر عنهم من فتاوى، وما وقع بينهم من انشقاقات، وما صدر عنهم من تناقضات، ثم عمد إلى تفنيد مواقفهم تجاه المخالفين لهم، وبيان ما لديهم من انحراف في أقوالهم التي اتسمت بالطعن والسب والتجريح من خلال بيان أقوال أهل العلم فيهم والرد عليها من القواعد الشرعية المرعية الثابتة لمنهج أهل السُّنة والجماعة، من خلال ذكر فتاوى الجامية والرد عليها بالحجة والدليل من أقوال علماء الأمة وسلفها الصالح.

كما اتسم أسلوب الكاتب بالسهولة والجزالة والبعد عن الاستغراق والاستطراد في الفتاوى والمسائل الشرعية، والاختلافات بين العلماء، كما حرص على البعد عن الفحش من القول والاستهزاء والطعن والتجريح، فلم يطعن بأحد منهم كما يفعلون هم مع مخالفيهم.

ووطأ المؤلف الكتاب للقارئ غير المتخصص، ورسم خريطة ذهنية واضحة المعالم لدراسته تناول فيها الجامية من مختلف الجوانب، وختمها برسالة طريفة جمع فيها من الأصول الشرعية ما لا يسع المسلم جهله؛ كتحريم النيل من عرض المسلم، وبناء حال المسلم على السلامة والستر؛ لأن اليقين لا يزيله الشك، وإنما يزال بيقين مثله، والتزام الإنصاف مع المخالفين لك في الرأي، والحذر من دعاة «الفتنة» الذين يتصيدون العثرات وغيرهم من الأصول الراقية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي السمحة.

الأصالة العلمية والمصادر:

نظراً لحداثة ظهور فرقة الجامية مقارنة بالفرق الإسلامية التي شهدها التاريخ الإسلامي؛ مثل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والخوارج وغيرها من الفرق الإسلامية، اعتمد المؤلف على مراجع حديثة نسبياً؛ مثل مجموعة كتب ومؤلفات رموز الجامية، والكثير من المواقع الإلكترونية التي حوت محاضرات ودروس وفتاوى الجامية، حيث تتبع المؤلف إصدارات وخطب ودروس الجامية في مواقعهم وقنواتهم الفضائية ومنابرهم الإعلامية على نحو دقيق لاستقراء أقوالهم ومواقفهم وبيان أقوال أهل العلم فيها.

إلا أنه مما يؤخذ على الدراسة عدم وجود ثبت لهذه المراجع والمصادر وتصنيفها بشكل علمي دقيق، فلم يوثق الكاتب مصادره من الشبكة العنكبوتية خاصة «يوتيوب» بإرفاق الروابط وتاريخ الاطلاع عليها كما هو معمول به في إثبات المصادر الإلكترونية في الرسائل العلمية، واكتفى بذكر عناوين هذه الحلقات كما وردت.

من سمات الجامية

أشار الكاتب إلى الكثير من سمات الجامية المخالفة لمنهج أهل السُّنة والجماعة، لا سيما أن خلافاتهم لم تكن منهجية؛ بل غلب عليها التبديع والتفسيق والتضليل، والسب والشتم واللعن والطعن في النوايا وسوء العبارة بين بعضهم بعضاً، واللغو في ثناء بعضهم على بعض، ثم اللغو في ذم بعضهم بعضاً عند الاختلاف، وهذا بلا شك صنيع أهل البدع، أما أهل السُّنة والجماعة فينصح بعضهم بعضاً، ويصوّب بعضهم بعضاً، ويعذر بعضهم بعضاً، ويأتلفون ولا يختلفون.

الكتاب يعد مرجعاً علمياً للباحثين في دراسة الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة

أسلوب الكاتب اتسم بالسهولة والبعد عن الاستغراق في الفتاوى والمسائل الشرعية

الجامية يدعون أنهم الجماعة السلفية الوحيدة ويرون غيرهم من الجماعات ضالة منحرفة

ومن أبرز معالم وسمات الجامية التي ساقها المؤلف بكل جلاء ووضوح ودلل عليها ووثقها:

1 - الطعن في العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتتبع زلاتهم وهفواتهم وأخطائهم وسقطاتهم ونشرها وتهويلها، من أجل إسقاطهم وتزهيد الناس بهم.

2 - تصنيف العلماء والدعاة من أهل السُّنة وتبديعهم وتفسيقهم.

3 - وضع أصول وقواعد للسلفية، فمن قال بها فهو منهم، ومن لم يقل بها فهو ليس منهم وليس بسلفي، وهي أصول وقواعد لا دليل عليها لا من الكتاب ولا من سُنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقاعدة: «من لم يبدّع المبتدع فهو مبتدع»، التي هي في حقيقتها

www.mugtama.com

«من لم يبدّع من بدّعناه فهو مبتدع».

4 – اختبار وامتحان العلماء والدعاة وعامة الناس بأسماء معينة، فإن أجاب السائل بما يريدون فهو منهم وهو سلفي، وإن أجاب بعكس ما يريدون فهم عندهم ليس بسلفي بل هو ضال، منحرف، مبتدع، خارجي، تكفيري، بحسب وصفهم وتصنيفهم.

5 – ادّعاؤهم أنهم الجماعة السلفية الوحيدة في عصرنا الحاضر، وأن ما عداهم من الجماعات الأخرى إنما هي جماعات ضالة، منحرفة، وليست بجماعات سلفية وإن ادعت ذلك!

6 – التوسع في مفهوم البدعة، فالبدعة عندهم ليس لها مفهوم أو تعريف أو ضابط معين، وهذا التوسع يؤدي إلى إيقاع الناس في الحرج والمشقة والدخول في المحظور من التنطع والتشدد.

رصد الكاتب ملمحاً مهماً في مسيرة وتاريخ الجامية؛ وهي كثرة التناقضات والانشقاقات على نحو لافت للمتابع لهم، سواء في المدينة أو الكويت، والتساؤل الذي يطرح نفسه: ما الأسباب التي تقف خلف هذه الظاهرة؟

يشير المؤلف إلى أن من يتعرف على الجامية يجد الجواب واضحاً؛ فالجامية خالفوا منهج أهل السُّنة والجماعة في التعامل مع أخطاء بعضهم بعضاً، وسلكوا منهج أهل الزيغ والبدع في التعامل مع هذه الأخطاء؛ فضلل بعضهم بعضاً، وحذّر بعضهم من بعض، وطعن بعضهم في بعض، وهذا لا شك منهج أهل البدع والزيغ، فالجامية لما فرغوا من الطعن والتحذير من الذين يخالفونهم في منهجهم القائم على الطعن في العلماء والدعاة باسم الجرح والتعديل، وقعوا وتفرغوا للطعن والتحذير في بعضهم بعضاً.

من خلال رصد وتتبع الفتاوى والآراء والأقوال والمواقف التي تصدر عن الجامية، لا سيما فيما يتعلق بقضايا مثل الخروج على الحاكم والمظاهرات والشأن العام، يجد الباحث أنه ليس هناك خيط ناظم لمنهج منضبط لدى شيوخها في الفتوى، بل هناك عبث وفوضى في الاستدلال المبتور، وتخبط شديد في استيفاء الأدلة والقياس والاستنباط من الأصول، وتبرير متناقض للواقع؛ فتارة يجيزون الخروج على حاكم بعينه، ويحرمون الخروج على آخر، ومن معالم الاضطرابات الشرعية لديهم:

– الجهل العميق بأدوات الاستنباط الشرعية (علم أصول الفقه).

– الضعف الشديد في الفقه المقارن والخلاف العلمي.

– ضعف بقواعد علم الجرح والتعديل.

– لا يفرقون بين المسائل التي وردت في غير مظانها.

– لديهم ضعف وجهل ظاهر في تحقيق المناط.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك التي فندها المؤلف:

– تبديع وجرح العلماء بلا سبب سوى الخصومة معهم.

– قولهم بعدم جواز الصلاة خلف من بدّعوه.

– قولهم: إن أهل البدع أشر من اليهود والنصارى.

– اعتبارهم المظاهرات خروجاً على ولي الأمر.

– اعتبارهم وسائل الدعوة توقيفية.

– اعتبارهم الحاكم الكافر المتغلب ولي أمر.

– قولهم بوجوب السكوت عن انحراف الحكام.

– إنزالهم الآيات النازلة في الكفار على المسلمين.

وسبب هذا التناقض في المواقف والخلل المنهجي الواضح أن الجامية ليست جماعة فكرية، بل جماعة وظيفية تحركها الأنظمة حسب المواقف السياسية، ويسوق المؤلف على ذلك الكثير من الأدلة، ومنها قوله: «لقد بلغ الخزي بأحد شيوخهم.. أنه أفتى بجواز التخابر مع المخابرات الفرنسية للإبلاغ عن المسلمين، وقد سمعته منه» (ص 195).

ومن المسائل التي خالفوا فيها السُّنة السلفية معاداتهم لأهل الحسبة الرسميين وغير الرسميين، بكل أشكالهم، حتى وصفهم عبدالعزيز الريس بأنهم «دواعش»! (ص 179).

ومثال ذلك أيضاً تعاون وقوف شيوخ ورموز الجامية في ليبيا مع القائد العسكري حفتر صاحب التوجه العلماني والمدعوم من الغرب ضد المجاهدين بدعوى أنهم من الإخوان المسلمين. (ص 545).

خلاصات الأفكار:

– الذي ينظر في تاريخ الدعوات والفرق والجماعات والأحزاب التي ظهرت على مدار التاريخ الإسلامي لا يجد فرقة مثل هذه الفرقة الخطرة التي تخصصت في تجريح العلماء والجماعات والأحزاب على نحو غير مسبوق، والتوسع في تبديع المخالفين لهم، والتعاون مع الأجهزة الأمنية لإلحاق الضرر بمن خالفهم.

– غياب القدوات في حياة الجامية المداخلة أدى إلى غياب التربية الحقيقية الأخلاقية السلوكية؛ مما أثر في عقولهم وسلوكهم مع مخالفيهم، وهذه ظاهرة ينبغي أن تدرس عن هذه المجاميع المقلدة الهائمة التي ليس لها هدف سوى السب والتجريح والطعن فيمن خالفهم، وكلهم يعتبر نفسه من العلماء، وكلهم يفتي بلا مؤهلات علمية وشرعية للفتيا.

– مجموع ما قدمته الجامية المداخلة إنما هو هدم وتفريق وكلام لا ينتهي في تصنيف الناس والعلماء، وردود جلها السب والطعن والتجريح في المخالفين، وهو منهج مخالف لمنهج أهل السُّنة والجماعة.

– هناك ظاهرة من التناقض الصارخ في مواقف شيوخ ورموز الجامية بين النظرية والتطبيق؛ ففي الوقت الذي يحرمون الخروج على ولي الأمر يحرضون على الخروج على حاكم آخر لمجرد أنه من جماعة مخالفة لهم! وهذا يشير بوضوح إلى أن الجامية المدخلية جهاز وظيفي تحركه الأجهزة الأمنية في بعض الأنظمة لأهداف سياسية.■

خالفوا منهج أهل السُّنة والجماعة في التعامل مع أخطاء بعضهم ما أدى لانشقاق أفراد منهم

من التناقضات لديهم أنهم يجيزون الخروج على حاكم بعينه ويحرّمون على آخر

الجامية ليست جماعة فكرية بل وظيفية تحركها الأجهزة الأمنية ببعض الأنظمة لأهداف سياسية

تـربوي

محطات إيمانية في طريق التربية

المُناقشة

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

منذ وقت غير قصير وهو يستعد لتلك اللحظة الحاسمة التي ينتظرها ليتحقق هدفه ويصل إلى غايته، كان يعرف أن الوصول إلى ذلك سوف يكلفه جهداً كبيراً وعملاً متواصلاً وسهراً طويلاً يصل فيه ليله بنهاره، بالإضافة إلى إنفاق مقدار غير قليل من ماله، لكنه مع كل هذا استعان بربه عز وجل، وتوكل عليه، وشحذ الهمة دون أن يتوانى أو يكسل، ورفع كفيه طالباً من الله أن يخلص له نيته في عمله هذا، وأن تتمخض ليالي سهره وأيام جِده عن ولادة بحثه الكبير الذي يكتبه، وأن يكلل سعيه بأعلى درجات التوفيق ويؤتي أُكله في قلوب القارئين وعقول الباحثين، ومن ثَم يكون له حسنة متجددة وصدقة جارية له.

إنه ما زال يعمل ويعمل، وكلما فترت همته تذكّر الغاية، وإذا ما أصابه الإعياء نظر إلى الهدف وهو يقترب منه؛ فيتجدد نشاطه وينهض من عثرته، نقب في بطون الكثير من الكتب، ليستخرج ما فيها من دُرر، ويتعرف على ما تخبئه من كنوز، ويكشف زيف بعضها وأصالة الكثير منها.

وها هو قد بدأ بصياغة كلماته بعد الحمد والثناء على خالقه.. هذه الفقرة هنا، وهذا الكلام في هذا الموضع مناسب، وهذا يحتاج للرد عليه، وهذا قول راجح وهذا مرجوح، وهذا.. وهذا.. يقدِّم ويؤخِّر، ويضيف ويحذف، ويعيد ويكرر، ويقرأ وينظر، وأخيراً وصل إلى خاتمة بحثه وكتابة نتائجه وخلاصة عمله، وتوصياته العلمية والعملية، ولما أحس أنه قد بذل وسعه وأتقن ما استطاع جهده، واتقى الله ما استطاع في عمله، حمد الله وأثنى عليه واستغفره، وقدم للجامعة بحثه، التي حددت له وقتاً لمناقشته.

مر وقت عليه حسبه دهراً وهو يستعد لمناقشة رسالته ويستذكر من جديد ما كتبه، ويُعد الإجابة لكل سؤال يتوقع أن يُسأله، وهو مع هذا يفكر ليله ونهاره في تلك اللحظات التي يتحقق فيها حلمه، مع قلق على نفسه حين يناقَش ويُسأل أمام الحاضرين والمستمعين.

وأخيراً، حان وقت المناقشة! وحضرت معه زوجه تشد بنظراتها من أزره، ويسكن بقربها قلقه.

رأته وهو يجلس أمام لجنة المناقشة وكأنه في امتحان كبير، الكل فيه يمتحنه؛ فخفق قلبها رغماً عنها، رأت العيون تنظر إليه، والجميع يرقبه، فازداد قلقها، وبدأت المناقشة من اللجنة الموكلة بها وهي من عدة علماء متخصصين في موضوع البحث، لا شك أنهم حصروا ما فيه من ملاحظات وعددوها، وقيدوا ما اعتبروه غير مناسب من منظورهم كأهل علم، لكنهم جزاهم الله خيراً بدؤوا بذكر محاسن هذا البحث وأهميته، ومواطن الجمال فيه، شاكرين للطالب جهده الكبير، آملين منه المزيد، فانشرحت لذلك نفسه، واستعدت لتلقي ما يقولونه نُصحاً وإرشاداً وتصحيحاً وتقويماً، فاستمعَ إليهم شاكراً نصحهم، واستمعوا إليه دفاعاً عن بحثه.

واستمرت المناقشة وهو مُنصتٌ إليهم يدوِّن ملاحظاتهم؛ لماذا قلت هذا؟ ومن أين أتيت بهذا الكلام؟ وأين الحديث عن كذا؟ ضع هذا الكلام هنا، وهذا جيد أحسنت فيه، وهو مع هذا رحب الصدر متقبل نقدهم البَنَّاء الممتزج ببعض الثناء، مُقدِّر جهدهم وعلمهم، متأكد أن كل ذلك سيجعل رسالته في أبهى حُلة شكلاً ومضموناً، فلم يضجر ولم ييأس ولم يحزن، فهكذا نتعلم، وهكذا يجب أن نفعل، وبعد وقت غير قصير انتهت المناقشة، وها هو جالس ينتظر إعلان

كم في حياتنا من مجالات يناقش بعضنا بعضاً تسودها الأنانية وتغشاها الغلظة وتنقصها الحكمة!

ما أنجع المناقشة حين تكون بين الدعاة ومدعويهم حينما تكون بحكمة وموعظة حسنة!

النتيجة ويترقبها.

أحست زوجته وهي تستمع إلى النقاش الدائر أن حياتنا كلها ساحة كبيرة للنقاش فيما بيننا، وتمنت أن تكون مناقشاتنا جميعاً فيما بيننا شبيهة بهذه المناقشة العلمية الراقية التي تُبنَى على الأسس العلمية لا على التخمين والظن، التي غرضها البناء لا الهدم، ويغلفها الاحترام المتبادل والرغبة في الإصلاح والتقويم والحصول على أعلى الرتب، ويزينها التواضع من الجميع.

وتساءلت في نفسها، فإذا كانت هذه المناقشة العلمية بضوابطها المتعارف عليها بين أهلها تهدف إلى تحسين العمل وتصحيح الخطأ وتعليم العلم، فلماذا لا نستفيد منها فيما بيننا، فكم في حياتنا من مجالات يناقش بعضنا بعضاً تسودها الأنانية وتغشاها الغلظة وتنقصها الحكمة، فتنتج عنها القطيعة دون أن يتغاضى بعضنا أو يتنازل عن رأيه!

مناقشات يومية

رأت بقلبها الكثير من المناقشات اليومية التي نتعرض لها ونمارسها بطريقة صحيحة أو غير صحيحة، فهي تلازمنا في كثير من أحوالنا، فالمناقشة تعني المداولة، والجدال والمُحاسَبة وتبادل الآراء ووجهات النظر (معجم المعاني الجامع)، وهذا ما يفعله الناس، حيث إنها وسيلة من وسائل الفهم والإيضاح وتوصيل المعلومة، ونحتاج إليها في تواصلنا وكلامنا.

فما أنفع المناقشة في المدارس ودروس العلم، حين تكون أشبه بالحوار بين الطالب وأستاذه، ويكون المعلم فيها صبوراً في إيصال علمه وإفهام طلابه، ويحترم الطالب أستاذه ويجله.

وما أجمل المناقشة بين الزوج وزوجه عند حصول أي مشكلة أو عند تبادل الرأي فيما بينهما، فيسودها المحبة والمودة والرحمة، في حوار قلبي عقلي دون أن تتحول إلى جدال عنيف وخصام وهجران وقطيعة قد تؤدي إلى الطلاق وهدم بناء الأسرة!

وما أروع المناقشة حين تكون بين الولد ووالديه ببر وشفقة، وعطف وإحسان، ولين جانب وخفض جناح، دون أن تشتمل على «الأفّ» والتأفف، والصياح ورفع الصوت!

وما أنجع المناقشة حين تكون بين الدعاة ومَن يدعونهم، فتكون بحكمة وموعظة حسنة وجدال بالتي هي أحسن، روحها الحب والرحمة، وغلافها التواضع، وسِمتها الرفق، وغرضها هداية الناس؛ فيهتدي الضال، ويُحسن المسيء، ويطيع العاصي، ويتوب المذنب!

وما أكثر فائدتها حين تكون بين طلبة العلم في بعض الكتب العلمية لترسيخ الفهم والتدرب على الاستنباط واستخراج المعاني!

وما أحسنها حين تكون بين الأخ وأخيه والصديق وصديقه والجار وجاره للتقارب فيما بينهم وتبادل وجهات النظر والاستفادة من الخبرات!

أفاقت من فكرها حين دخلت لجنة المناقشة لإعلان النتيجة، وما إن أعلنوا بها حتى خرَّ لله ساجداً، فقد كلل جهده بالنجاح والتوفيق، وإن كل لحظة قضاها في طلب العلم كانت لبنة في سُلم نجاحه وفوزه بالامتياز مع مرتبة الشرف.

شكرت الله تعالى مع زوجها، هنأته بفوزه، ودعت له بما أثلج صدره، جعلك الله من الفائزين الفوز العظيم وأدخلك الجنة بغير حساب مع هؤلاء المتوكلين، فقد رأيت فيك حسن التوكل جنباً لجنب مع أخذك بأسباب النجاح، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ من أُمَّتي سَبْعُونَ ألْفاً بغيرِ حسابٍ، هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (رواه البخاري).

الاستعداد للعَرض

لقد ذكرتني كلمة المناقشة بأمنا عائشة رضي الله عنها حين قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً»، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك» (رواه أحمد).

فانظر إلى هذا الحوار التعليمي والنقاش الهادئ بين النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه عائشة رضي الله عنها وهي تسأله فيجيب، فكان جوابُه لها لبَيان المقصود الحقيقيّ للآية، وأن الحساب اليسير شيء آخَر، وهو العَرْضُ، وهو إبراز الأعمال، وإظهارها، فيُعرِّفُ الله صاحبَها بذنوبه، ثم يتجاوَز عنه؛ حتى يعرف منَّة الله عليه في سَترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة، وأن مَن نُوقش الحساب يَهلك لأن التقصير غالب على العباد، فمَن استُقصِيَ عليه ولم يُسامَح؛ هلك وأدخل النار.

فالحساب يوم القيامة نوعان؛ حسابُ عَرْض ومُعاتَبة، وهو حساب يسيرٌ لا عذاب فيه، وحسابُ مُناقشة، وهو حسابٌ عسيرٌ وشديد، ولا يخلو من العذاب؛ لأنه مُناقَشة للعبد على أخطائه، وتوقيفه على جميع ذنوبه، واستقصاءٌ لكل سيئاته. (انظر الدرر السنية، شروح الأحاديث).

لكنه للأسف يوجد فينا من لا يلين جانبه لأخ أو جار أو صديق ولا لوالد أو قريب، ولا لزوج أو ولد، تراه في نقاشه يدقق في كل صغيرة وكبيرة ويشح بنفسه أن تسامح أو تترك المراء والجدال، غرضه الانتصار لنفسه، والأخذ برأيه، مهما تكن النتائج! فلنتخفف معاً من الأوزار، وليكن نقاشنا جميلاً سَمحاً حتى يحاسبنا الله حساباً يسيراً.■

ما أجمل المناقشة بين الزوج وزوجه حينما يسودها المودة والرحمة في حوار قلبي عقلي!

www.mugtama.com

علماء ومصلحون رحلوا في أكتوبر..

الدوسري والنجار والأنصاري

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

الموت قدر محتم على كل حي، لا ينجو منه كبير ولا صغير، غير أن رحيل العلماء وهم بمثابة بركات الأرض ورحمات السماء، ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار، كما ذكر الحسن البصري.

وفي أكتوبر رحل الكثير من العلماء والمصلحين الذين كانوا كالنجوم وسط الناس يضيؤون لهم الطريق، وكان منهم:

عبدالرحمن الدوسري.. المدافع عن الحق

هو عبدالرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، تعود أصوله إلى مدينة السليل جنوب مدينة الرياض، لكنه ولد في البحرين عام 1332هـ/ 1914م أثناء زيارة والديه لجده لأمه، وجاء الكويت مع والده حينما نزح إليها للعمل في الغوص لاستخراج اللؤلؤ ثم في تجارة «البشوت» (المشالح)، ونشأ بحي المرقاب، وامتهن مهنة أبيه.

تلقى العلم في «المدرسة المباركية»، وقد وهبه الله ملكة الحفظ فأتم حفظ القرآن الكريم في أسابيع معدودة، وتتلمذ على يد الشيخ يوسف القناعي، وابن دحيان، وصالح الدويش، وعبدالعزيز الرشيد وغيرهم من علماء الكويت الكرام.

كان شاعراً وكاتباً بارعاً طاف الكويت والبحرين والسعودية داعياً ومذكراً ومدافعاً عن الإسلام

كان الدوسري شغوفاً بالعلوم، حريصاً على نشرها وتوزيع الكتب على طلبة العلم والراغبين في القراءة بالمجان، وليس ذلك فحسب، بل كان صريحاً في قول كلمة الحق، جريئاً في المواقف، لا يعرف التردد أو المداهنة، ولا يخضع لتهديد أو وعيد؛ بل يصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كانت له دروس وخطب ومواعظ في معظم مساجد الكويت طيلة أيام الأسبوع، يشرح للناس فيها حقيقة الإسلام، والتمسك به، ويحذِّرهم من البدع والخرافات والمعاصي والمنكرات.

كان له مع إخوانه الشيخ أحمد خميس الخلف، والحاج عبدالرزاق الصالح المطوع، والشيخ عبدالله النوري دور كبير وجهد موفق في التصدي للقوانين الوضعية التي ينادي بها دعاة العلمانيين والمستغربين من أبناء المسلمين.

وكان من المنادين بضرورة الاهتمام بإنشاء المدارس الإسلامية، ونشر التعليم الإسلامي، والاهتمام بالإعلام الإسلامي مقروءاً ومسموعاً ومشاهداً، ونشر الوعي الصحيح والعمل الجاد المتواصل.

كان شاعراً وكاتباً بارعاً؛ فكان من إنتاجه «صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم» في 9 مجلدات، ونظم «الجواهر البهية في نظم المسائل الفقهية» (12 ألف بيت)، و«إرشاد المسلمين إلى فهم حقيقة الدين».

طاف مدن الكويت والبحرين والسعودية داعياً ومذكراً ومدافعاً عن الإسلام حتى استقر به المقام بمدينة الرياض في أواخر حياته، حتى مرض وسافر إلى لندن للعلاج، فمات هناك في صباح يوم الأحد 16 ذو القعدة 1399هـ/ 7 أكتوبر 1979م، فحمل إلى الرياض حيث دفن في مقابر العود. ■

المصادر

1 - سليمان ناصر الطيار: حياة الداعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله، (نال بها الماجستير)، ط1، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، 2010م، 1431هـ.

2 - محمد سعيد النجار: إخوان ويكي، https: //bit.ly/2ETIziU.

3 - عمر تهاني ناجي مختار: علامة قطر الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري.. حياته العلمية وجهوده الدعوية، مركز شباب برزان، مسابقة أعلام من قطر، 2006م، نشر في كتاب عام 2011م. ■

محمد سعيد النجار.. الطبيب الإنسان

في مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة بمصر ولد د. محمد سعيد محمد علي عبدالوهاب النجار، في 27 يناير 1916م، وتخرج في كلية الطب جامعة عين شمس بتفوق، وعين مدرساً بها عام 1944م.

انضم إلى حركة الإخوان المسلمين وهو طالب، وشارك في حرب فلسطين عام 1948م في صفوف الإخوان طبيباً مع د. أحمد الملط والعديد من الأطباء، كما شارك في حرب القنال عام 1951م، حيث كان أحد المشرفين على معسكر تدريب الطلبة في

www.mugtama.com

عبدالله الأنصاري.. ونهضة قطر العلمية

في مدينة «الخور» شمال شرق الدوحة بدولة قطر وُلد الشيخ عبدالله إبراهيم عبدالله علي الأنصاري -الذي يعد أحد رواد النهضة العلمية في دولة قطر- وينتهي نسبه إلى الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، ولد عام 1333هـ/ 1914م.

تلقى العلم على يد والده، فحفظ القرآن الكريم ودرس كتب الفقه الشافعي، والحديث النبوي وعلم النحو واللغة وعلوم الميراث، ثم ارتحل إلى منطقة الإحساء بالسعودية لتلقي المزيد من العلم.

عمل بالغوص على اللؤلؤ في أول شبابه قبل أن يقرر الرحيل إلى مكة المكرمة حيث التحق بالمدرسة الصولتية بمكة، ومدرسة الحرم، وظل يترحل بين قطر والسعودية ينهل في العلم، حتى انتقل إلى مدينة دارين، وتولى قضاء ناحية القطيف، وظل بها 3 سنوات.

وفي عام 1372هـ/ 1953م أرسل حاكم قطر الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني برسالة إلى الملك سعود يطلب منه السماح للشيخ الأنصاري بالعودة.

عاد الشيخ عبدالله الأنصاري فكان من إسهاماته العديدة في المجال التعليمي تأسيسه المعهد الديني في قطر -وهو أول معهد يقام فيها- كما شارك بفكره وجهده

ساهم في تأسيس أول معهد ديني بقطر وشارك ببناء منهج التربية الإسلامية على العقيدة الراسخة

في بناء منهج التربية الإسلامية المبنية على العقيدة الراسخة، كما أشرف على بعض الكتب المدرسية للمراحل المختلفة في مجال التربية الإسلامية، وكان له الفضل في تذليل العقبات التي اعترضت تعليم الفتاة في دولة قطر.

بعد إغلاق المعهد الديني بأمر من مديرية المعارف أسند إلى الشيخ إدارة أول مدرسة ابتدائية في قطر، عرفت باسم «المدرسة الجديدة الابتدائية» وقد غُيّر اسمها إلى مدرسة صلاح الدين الابتدائية، واهتم بنشر الدعوة الإسلامية وتفريغ الدعاة والأئمة والمدرسين وتقديم المساعدات المالية للمحتاجين من المسلمين في كل مكان، وإقامة المدارس والمعاهد والمساجد والمراكز واستمرار الدعم لها ورفدها لتنهض في أداء رسالتها الإسلامية.

يقول القاضي عبدالقادر العماري، في مجلة «المجتمع» الكويتية: إن الشيخ الأنصاري كان جماعة في واحد، أمة في فرد، همة عالية ونشاطاً متواصلاً، كبرت همته فأثقلت على جسمه وشيخوخته، إن الجماهير الغفيرة التي احتشدت للصلاة عليه في المسجد الكبير بالدوحة ضاق بها المسجد على سعته، وإن الجموع الحاشدة التي خرجت تودعه إلى مثواه، لم تشهد قطر لها مثيلاً في تاريخها.

كانت للشيخ الأنصاري دراية واسعة بعلم الفلك، فقد قام على إصدار التقويم القطري لنحو 30 عاماً، فكان إصدار أول تقويم تحت إشرافه عام 1377هـ.

كان الأنصاري عضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً برابطة الأدب الإسلامي، وعضواً مؤسساً لمنظمة الدعوة الإسلامية، والمجلس الأفريقي الإسلامي، والعديد من المراكز في دول العالم، كما أسس دار الأيتام الأنصارية في كيرلا بالهند، التي أصبحت اليوم من أكبر الجامعات التكنولوجية بها.

ظل الشيخ -رغم تقدم العمر- شعلة من النشاط في نشر العلم حتى سكن جسده واستسلمت الروح لربها يوم 14 ربيع الأول 1410هـ/ 15 أكتوبر 1989م، حيث دفن بالدوحة.■

جامعة عين شمس مع مهدي عاكف.

قال عنه حسن دوح: أما د. سعيد النجار، المدرس بكلية الطب بجامعة عين شمس، فقد كان قاسماً مشتركاً بين الأساتذة والطلبة، وكان الحركة الدائبة النشيطة.

وحينما قامت ثورة 1952م، وحدث الصدام مع الإخوان، هاجر د. سعيد النجار إلى الكويت، وكان له دور وأثر بين المجتمع الكويتي، حيث شارك في حملة صحية للتوعية والإرشاد بالكويت عام 1960م، وقد رصدت مجلة «تراث دائرة معارف الكويت» جهوده، كما هنأه المراقب الفني بدائرة معارف الكويت أ. كامل بنقسلي على سيرته الحسنة في أحد الاحتفالات.

اتصف د. النجار بالشهامة والشجاعة والمروءة؛ فقد شهد في المحاكمات العسكرية عام 1954م على بشاعة التعذيب التي تقع

كان له أثر بالمجتمع الكويتي واتصف بالشجاعة والمروءة وظل يسعى على حاجات المحتاجين

على المعتقلين ولم يخشَ الضرر من أحد، كما ظل طيلة حياته يسعى على حاجات المحتاجين ويبحث عن عمل للعاطل، ومال للمدين، وحل لكل مشكلة.

يقول عنه الأديب الكويتي عبدالله خلف: كان يرفض أخذ المكافأة المالية المخصصة لرجال الثقافة والدين، وكان يزاول عمله في الطرقات والدواوين، يحمل الشنطة والختم والوصفات، وعند انصرافه من الإذاعة كان يقف بسيارته أمام باب الخروج فيطلب من المنتظرين مرور الحافلة أن يوصلهم، منهم من

هو في العاصمة وآخر في إحدى الضواحي ويوصلهم إلى أن يدركه ميقات صلاة العصر فيصلي في أي مسجد ويعود لمنزله متأخراً، وكان هذا نهجه كل يوم.

وقد نعته مجلة «الجمعية الطبية الكويتية» في عددها السادس لعام 1972م بقولها: «كان -رحمه الله- أقرب إلى الأسطورة منه إلى رجل يعيش بين الناس.. وكان طاقة.. عجبنا كيف احتواه وعاء آدمي واحد.. وكانت حياته قصصاً تروى وأمثالاً تضرب ومروءات تأخذ بالألباب، تناقلته الألسنة أحاديث وأسماراً وأخباراً، لا ذكريات عن ميت توفاه الله ولكن إعجاباً براحل حي»، ظل على نهج حياته المتفرد حتى توفاه الله بالكويت في أكتوبر 1972م، وحمل جثمانه إلى مسقط رأسه بمصر حيث احتشدت الجموع لوداعه.■

مقال

تقديم المصلحة على النص.. بين الحقيقة والافتعال

د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

بين الحين والآخر يخرج علينا «الحداثيون»، كما يسمون، بآراء جديدة يطلقون عليها اجتهادات، وما هي من الرأي في شيء، ولا من الاجتهاد في قليل أو كثير، يريدون بها تغيير الدين، وتمييع الأحكام، وتحويل الأصول إلى فروع، والثوابت إلى متغيرات، والمحكمات إلى متشابهات، والقطعيات إلى ظنيات؛ في محاولة منهم لتلبية رغبات دفينة في نفوسهم للتخلص من الشريعة ومحكماتها وأحكامها وفرائضها وقطعياتها، مرة بالمناداة بتسوية المرأة بالرجل في الميراث، ومرة بإلغاء الصيام لأنه يعطل الإنتاج، ومرة بأن الحدود قاسية ولم تعد مناسبة للعصر الذي نعيشه، وقد كانت مناسبة للعصر البسيط البدوي الذي نزلت فيه.. إلخ!

والواقع أنه ظهرت في واقعنا الفكري والثقافي ثنائيات جدلية مفتعلة، أقيم بينها تعارض وما هي من التعارض في شيء، استعيرت من بلاد الغرب في العصور الوسطى التي كانت الكنيسة فيها سبباً من أسباب قيام هذا التعارض بما لا يوجد شيء منه مطلقاً عندنا في شريعة الإسلام وتصوراته.

وذلك مثل: «العقل والنقل»، و«التراث والتجديد»، و«الأصالة والمعاصرة»، و«الحرية والشريعة»، و«المقاصد والنصوص»، و«المصالح والشريعة».. إلخ، والغرض أنه يراد إلهاء العقل المسلم والتشويش عليه بجلب هذه الثنائيات وإلصاق التناقض بها ظناً من المستوردين أنها عندنا مثل ما هي عليه في بيئات أخرى وتصورات أخرى وعصور أخرى.

التعارض بين المصلحة والنص وهمي ولا وجود له في شريعتنا مطلقاً

ومن هذه الثنائيات «المصلحة والنص»، وقد أقام البعض بينهما تعارضاً، وهو تعارض وهمي ومفتعل، ولا وجود له في شريعتنا مطلقاً، وقرروا أنه عند تعارض النص والمصلحة يجب تقديم المصلحة، ولا ندري عن أي مصلحة يتحدثون وبمعيار من، وإن كان معيارها العقل فوفق أي عقل من عقولهم؟

ونسبوا مقولة تقديم المصلحة عند تعارضها مع النص للإمام الطوفي الحنبلي، فهل قال الطوفي هذا فعلاً؟ وما حقيقة قوله؟ وما أدلته؟ وما المنهج الذي يسير عليه في التعامل بين يدي النص والمصلحة؟ وهل يقدم الطوفي النص على المصلحة بإطلاق، ومن أول ظهور للتعارض؟ وهل يختلف هذا عنده في القرآن عن السُّنة، وهل هو في العبادات والمعاملات سواء؟

الحق أننا يجب أن نقرأ للإنسان ما كتبه هو، ولا نقرأ ما تَقوَّلَه عليه غيرُه، وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نورد كلام الطوفي نفسه في هذه القضية؛ ليتبين لنا وجه الحق والصدق فيها.

يقول الطوفي: «وإن اجتمع في الحكم كتاب وسُنة؛ فإن اتفقا عمل بهما وأحدُهما بيان للآخر أو مؤكِّد له، وإن اختلفا فإن أمكن الجمع بينهما جمع، وإن لم يمكن فإنه اتَّجِهَ نسخ أحدهما بالآخر نسخ به، وإن لم يَتَّجِهْ فهو محل نظر وتفصيل، والأشبه تقديم الكتاب لأنه الأصل الأعظم فلا يترك بفرعه.. هذا تفصيل القول في أحكام العبادات.

أما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر، فالمصلحة وباقي أدلة الشرع إما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا فبها ونعمت كما اتفق النص والإجماع والمصلحة على إثبات الأحكام الخمسة الكلية الضرورية، وهي قتل القاتل والمرتد وقطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الأحكام التي وافقت فيها أدلة الشرع المصلحة، وإن اختلفا فإن أمكن الجمع بينهما بوجه ما جُمِعَ، مثل أن يحمل بعضُ الأدلة على بعض الأحكام أو الأحوال دون بعض، على وجه لا يخل بالمصلحة، ولا يُفضي إلى التلاعب بالأدلة أو بعضها، فإن تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار»، وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه، ولأن المصلحة هي المقصود من سياسة المكلفين بإثبات الأحكام، وباقي الأدلة كالوسائل، والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل»[1].

فأنت ترى هنا عدة أمور مع الإمام الطوفي من خلال هذا النص الواضح:

1 - منهجيته في التعامل مع الكتاب والسُّنة لا سيما في العبادات: موافقة، تعارض، جمع، نسخ، نظر وتفصيل، ثم إذا انتهينا للتعارض بينهما فالأشبه تقديم الكتاب لأنه الأصل الأعظم فلا يقدم عليه فرعه.

2 - أن مسألة التعامل مع النص والمصلحة لها منهج كذلك في المعاملات: موافقة، ثم الجمع عند الاختلاف بوجه من وجوه الجمع لا يخل بالمصلحة ولا التلاعب بالأدلة أو بعضها.

3 - عند التعارض بعد امتناع محاولات الجمع تُقدَّم المصلحة؛ استناداً لنص وليس مجرد أهواء، وهو «لا ضرر ولا ضرار».

4 - أن ميدان هذا التقديم بعد كل هذه الخطوات إن تعذرت هو في «مجال المعاملات»، وليس العبادات أو المقدرات أو القطعيات، وهذا ما يغفُل عنه الكثيرون حين يتحدثون عن هذه القضية عند الطوفي.

5 - أن المصلحة هي المقصود من سياسة المكلفين بإثبات الأحكام، وباقي الأدلة كالوسائل، وعند التعارض تقدم المصلحة من باب تقديم المقاصد على الوسائل.

ثم أود أن أشير إلى نقطة مهمة هنا في كلام الطوفي، وهي أن هذا الافتراض المفتعل أو الوهمي بين النص والمصلحة غير موجود في أحكام الشريعة الإسلامية، ولم يستطع الطوفي نفسُه أن يظفر بمثال واحد يبرهن به على هذه الافتراضية؛ وذلك لسبب واضح؛ وهو أن الشريعة بنصوصها مصالح، وأن المصالح الحقيقية هي الشريعة، فما نزلت الشريعة إلا لمصالح العباد، وما جاءت المصالح إلا من الشريعة.

المصلحة غاية الشريعة

بل إن عندنا أصلاً مستقلاً من أصول الفقه وأدلته التي تستقى منها الأحكام الشرعية وتستنبط بها وهو «المصلحة المرسلة»، وقد أخذت بها المذاهب الفقهية قاطبة، بل إنها معمول بها عند عامة الفقهاء قديماً وحديثاً؛ خلافاً لزعم البعض بأن المالكية قد اختصوا به.

كما أن هناك أصولاً وأدلة أخرى تدور حول المصلحة وتحقيقها للناس، مثل الاستحسان الذي عرفوه بعدة تعريفات تدور كلها حول المصلحة، مثل: «الاستحسان ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس»، وقيل: الاستحسان طلب السهولة في الأحكام فيما يبتلى فيه الخاص والعام، وقيل: الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة، وقيل: الأخذ بالسماحة وابتغاء ما فيه الراحة»[2]؛ فتأمل كيف دارت كل هذه التعريفات على مصلحة المكلفين!

والمصلحة لها علاقة بالأدلة جميعاً، بالقرآن والسُّنة والإجماع والقياس وشرع من قبلنا وقول الصحابي وغير ذلك من أدلة وأصول، فلا تخلو هذه الأدلة من إعمال المصلحة فيها لأنها جزء منها، كما لا تخلو من استثمار المصلحة منها لتحقيقها للعباد في الدنيا والآخرة جميعاً.

وحسبنا أن العلماء قديماً وحديثاً قد استفاض عنهم أن الشريعة نزلت لمصالح العباد؛ فها هو العز بن عبدالسلام يقول: «والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة: 104)؛ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح»[3].

الطوفي استند في قوله بتقديم المصلحة إذا امتنع الجمع بينها وبين النص إلى «لا ضرر ولا ضرار»

.. ولم يستطع أن يظفر بمثال واحد يبرهن به على احتمالية امتناع الجمع بين النص والمصلحة

وقال ابن تيمية: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ الرُّسُلَ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ، وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ فَمَصْلَحَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَفْسَدَتِهِ، وَمَنْفَعَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى الْمَضَرَّةِ، وَإِنْ كَرِهَتْهُ النُّفُوسُ»[4]، وقد تكررت هذه العبارة في كتب ابن تيمية أكثر من ثلاثين مرة.

وقال تلميذه المحقق ابن القيم: «هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها

التعارض الوهمي قد ينشأ بين النص والمصلحة من فهم النص على غير وجهه أو من تحديد المصلحة

بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها»[5].

وقال إمام المقاصد أبو إسحاق الشاطبي: «وضْع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً»[6].

حتى إن الإمام الطوفي نفسه قال عن القرآن: «وبالجملة فما من آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ إلا وهي تشتمل على مصلحة، أو مصالح كما بيَّناه في غير هذا الموضع»، وقال عن السُّنة: «وقد بيَّنا اشتمال كل آية منه –أي القرآن– على مصلحة، والبيان –أي السُّنة– على وفق المُبَيَّن»[7].

والحاصل من هذا كله أنه لا يوجد أي تعارض بين نص ومصلحة، ولا بين مقصد ونص، فالشريعة مقاصد ومصالح، والمصالح والمقاصد هي الشريعة، وينشأ التعارض الوهمي بينهما من إحدى جهتين؛ الأولى: فهم النص على غير وجهه، أو أنه نص غير ثابت، أو من الخطأ في تطبيق النص في الواقع، والثانية: تحديد المصلحة وتقديرها، وهل هي مصلحة شرعية أم لا.

وعند التحقيق والتدقيق فسوف نجد أن المصالح والمقاصد جزء من بنية النصوص والشريعة وليست شيئاً خارجاً عن ماهيتها.■

الهوامش

(1) كتاب التعيين في شرح الأربعين: 329–330. سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي، نجم الدين. تحقيق: أحمد حَاج محمّد عثمان. مؤسسة الريان (بيروت – لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة – المملكة العربية السعودية). الطبعة: الأولى. 1419هـ/ 1998م.

(2) الوصف المناسب لشرع الحكم: 324. أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي. نشر عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى. 1415هـ.

(3) قواعد الأحكام: 1/11. مطبعة الكليات الأزهرية.

(4) الفتاوى الكبرى: 3/14. لابن تيمية. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. 1408هـ. 1987م.

(5) إعلام الموقعين: 3/11. لابن القيم. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.1414هـ/ 1991م.

(6) الموافقات: 2/9. لأبي إسحاق الشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولى.1417هـ/ 1997م.

(7) التعيين في شرح الأربعين: 243–244.

www.mugtama.com

قضية فقهية

الدعوة لوحدة الأديان.. في ميزان الشرع والإيمان

لا يخفى على أحد ما يعانيه المسلمون في شتى بقاع الأرض من أزمات شتى، ففي الوقت الذي يصارع فيه علماء المسلمين موجات الإلحاد والزندقة، وردّ دعاوى الجاهلية القديمة والمعاصرة، وصد عاديات التغريب، والانحراف، بدت محنة أخرى من أبشع المحن التي تعرض لها الإسلام والمسلمون؛ إذ نزعت في المواجهة نزعاً عنيفاً بوقاحة، كيداً للمسلمين، وطعناً في الدين، لإفساد نزعة التدين بالإسلام، والدخول فيه، وتذويب شخصيته في معترك الديانات، ومطاردة التيار الإسلامي، وكبت طلائعه المؤمنة، وسحب أهله عنه إلى ردة شاملة.. ألا وهو ما جَهَرَ به اليهود والنصارى وأتباعهم، من الدعوة إلى الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان (وحدة الأديان)، وزرع خلاياهم في أعماق أمة الإسلام في كل صقع ودار، وصهر المسلمين معهم في قالب واحد، فلا «ولاء»، ولا «براء»، ولا يوجد مسلم وكافر، فالكل عند الله تعالى سواسية.

من هنا، وجب علينا أن نتوقف عند هذه الفرية «وحدة الأديان» التي ظهرت بين المسلمين، ونزلت بساحتهم؛ ما الباعث لها؟ وما الغاية التي ترمي إليها؟ وما مدى مصداقية شعاراتها؟ وما حكم الإسلام فيها، وحكم الاستجابة لها من المسلمين، وحكم من دعا إليها، ومهد السبيل لها بين المسلمين، ونشرها في ديارهم؟

بقلم - الشيخ أحمد ناجي
باحث في العقيدة وعلم الكلام

أولاً: السرد التاريخي:

بتتبع المراحل التاريخية لفرية «وحدة الأديان»، نجدها قد مرت بأربع حقب زمانية، هي:

1 - عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقد بيَّن الله سبحانه في محكم كتابه أن اليهود والنصارى في محاولة دؤوبة لإضلال المسلمين عن إسلامهم، وردهم إلى الكفر، ودعوتهم المسلمين إلى اليهودية أو النصرانية، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 109)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة: 135)، وهكذا في عدد من الآيات التي يتلوها المسلمون في كتاب الله؛ ليحذروا اليهود والنصارى، وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 42)، قال ابن جرير الطبري عند هذه الآية: «عن مجاهد أنه قال: (وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) اليهودية والنصرانية بالإسلام»، وفي تفسير ابن كثير عن قتادة أنه قال عند هذه الآية: «ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، إن دين الله الإسلام..».

2 - مرحلة الدعوة إليها بعد القرون المفضلة: ثم بدت محاولاتهم مرة أخرى تحت شعار صنعوه، وموهوا به على الجهال، وهو أن الملل (اليهودية، والنصرانية، والإسلام) هي بمنزلة المذاهب الفقهية الأربعة عند المسلمين، كل طريق منها يوصل إلى الله تعالى[1]، وهكذا فيما يثيرونه من الشبه، ثم تلقاها عنهم دعاة «وحدة الوجود» و«الاتحاد» و«الحلول» وغيرهم من المنتسبين إلى الإسلام من ملاحدة المتصوفة وغلاة الرافضة، حتى بلغت الحال أن بعض هؤلاء الملاحدة يجيزون التهود، والتنصر، بل فيهم من يرجح دين اليهود والنصارى على دين الإسلام، وهذا فاش فيمن غلبت عليهم الفلسفة منهم، ثم انتقلوا إلى أن أفضل الخلق عندهم هو «المحقق»؛ وهو الداعي إلى الحلول، والاتحاد، ولقد كشفهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه[2]، وقد قُمعَت هذه الدعوة الكفرية بمواجهة علماء الإسلام لها، والمناداة عليها، وعلى منتحليها بأنها كفر وردة عن الإسلام.

القرآن كشف محاولات اليهود والنصارى الدؤوبة لإضلال المسلمين عن دينهم ودعوتهم لليهودية أو النصرانية

3 - مرحلة الدعوة إليها في النصف الأول من القرن الرابع عشر: وقد خمدت حيناً من الدهر محتجرة في صدر قائليها، المظهرين للإسلام، المبطنين للكفر والإلحاد، حتى تبنتها حركة «صن مون التوحيدية»، وقبلها «الماسونية» تحت غطاء الدعوة إلى وحدة الأديان الثلاثة، ونبذ التعصب بجامع الإيمان بالله، فكلهم مؤمنون.

4 - وكنا نظن أن هذه الفرية قد انتهت للأبد، إلا أننا فوجئنا بالمرحلة الرابعة في ظل النظام العالمي الجديد، والتطبيع مع الكيان الصهيوني المغتصب؛ حيث جهر اليهود والنصارى بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم، وبين المسلمين، وبعبارة أخرى التوحيد بين الموسوية، والعيسوية، والمحمدية باسم «الدعوة إلى التقريب بين الأديان» (التقارب بين الأديان)، ثم باسم «نبذ التعصب الديني»، ثم باسم «الإخاء الديني»، وباسم «مجمع الأديان»، وفتح له مركز بسيناء مصر بهذا الاسم[3]، وباسم «الصداقة الإسلامية

المسيحية»، وباسم «التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية»، ثم أخرجت للناس تحت عدة شعارات، منها «وحدة الأديان»، «توحيد الأديان»، «توحيد الأديان الثلاثة» «الإبراهيمية»، «الوحدة الإبراهيمية» ،«وحدة الدين الإلهي»، ثم لحقها شعار آخر، هو «وحدة الكتب السماوية»، ثم امتد أثر هذا الشعار إلى فكرة طبع القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل في غلاف واحد.

ثانياً: حُكم هذه الفرية:

من أصول الاعتقاد في الإسلام اعتقاد توحد الملة والدين في التوحيد، والنبوات، والمعاد، والإيمان الجامع بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما تقتضيه النبوة والرسالة من واجب الدعوة، والبلاغ، والتبشير، والإنذار، وإقامة الحجة، وإيضاح المحجة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بإصلاح النفوس، وتزكيتها، وعمارتها بالتوحيد، والطاعة، وتطهيرها من الانحراف، والحكم بين الناس بما أنزل الله، واعتقاد تعدد الشرائع وتنوعها في الأحكام، والأوامر والنواهي، وهذا الأصل هو جوهر الرسالات كلها.

وإن الدعوة إلى توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارى من دين دائر بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عُرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة بُغض الإسلام والمسلمين، وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، فهي في حكم الإسلام دعوة بدعية، ضالة كفرية؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن الكريم، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهي فرية مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسُنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل وبرهان.

فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، الاستجابة لمثل هذه الدعوات، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلى محافلها، بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها، واحتساب الطعن فيها، والتنفير منها، وإظهار الرفض لها، وطردها عن ديار المسلمين، وعزلها عن شعورهم، ومشاعرهم والقضاء عليها، وهذه الفرية إن حظيت بقبول من اليهود، والنصارى، فهم جديرون بذلك؛ لأنهم لا يستندون إلى شرع منزل مؤبد، بل دينهم إما باطل محرف، وإما حق منسوخ بالإسلام، أما المسلمون فلا يجوز لهم بحال الانتماء إلى هذه الفكرة؛ لانتمائهم إلى شرع منزل مؤبد كله حق، وصدق، وعدل، ورحمة.

في ظل التطبيع مع الصهاينة تجددت الدعوة للتوحيد بين الموسوية والعيسوية والمحمدية باسم التقارب بين الأديان

وليعلم كل مسلم عن هذه الفرية أنها فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية، تستهدف الإسلام والمسلمين من خلال:

1 - إيجاد مرحلة التشويش على الإسلام، وبلبلة عقول المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات، والشهوات؛ ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة.

2 - إتيانها على الإسلام من القواعد، مستهدفة إبرام القضاء على الإسلام واندراسه، ووهن المسلمين، ونزع الإيمان من قلوبهم، ووَأده.

3 - حل الرابطة الإسلامية بين العالم الإسلامي في شتى بقاعه؛ لإحلال الأخوّة البديلة اللعينة؛ «أخوة اليهود والنصارى».

4 - إبطال أحكام الإسلام المفروضة على المسلمين أمام الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر ممن لم يؤمنوا بالإسلام، وترك ما سواه من الأديان.

5- صياغة الفكر بروح العداء للدين في ثوب «وحدة الأديان»، وسلخ العالم الإسلامي من ديانته، وعزل شريعته عن الحياة، حينئذ يسهل تسريحه في مجاهل الفكر، والأخلاقيات الهدامة، مفرغاً من كل مقوماته، وجعل المسلم في محطة التلقي لِما يملى عليه من أعدائه، وأعداء دينه.

6 - إسقاط جوهر الإسلام، واستعلائه، وظهوره وتميزه، بجعل هذا الدين المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل، في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف منسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى.

7 - ثم غاية الغايات: بسط جناح الكفرة من اليهود والنصارى، وغيرهم على العالم بأسره، والتهامه، وعلى العالم الإسلامي خاصة؛ لغزو شامل ضد الإسلام والمسلمين بشتى أنواع النفوذ؛ الفكري، والثقافي، والاقتصادي، والسياسي، وإقامة سوق مشتركة، لا تحكمه شريعة الإسلام، ولا سمع فيه ولا طاعة لخُلق فاضل أو فضيلة[4].

لذا وجب على المسلمين الكفر بهذه الفرية «وحدة الأديان»، وليعلم كل مسلم أن الدعوة إلى هذه الفرية كفر، ونفاق، ومشاقة، وشقاق، وعمل على إخراج المسلمين من الإسلام، وأن حال الدعاة إليها من اليهود، والنصارى مع المسلمين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (آل عمران: 119).

وأخيراً: قد يقول قائل: ما المانع أن تتعاون كل الأديان في إسعاد البشرية؟

ونقول: إن الإسلام يدعونا إلى بر كل إنسان لم تمتد يده بالأذى للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8)، ولكنه في الوقت نفسه حذرنا من حقد هؤلاء علينا، فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: 120)؛ فكيف نتعاون مع أناس لا يعترفون بنا ويضمرون لنا كل شر؟!■

الهوامش

(1) الموسوعة الميسرة: 2/ 669 - 674. ط 3، ص 449 - 454. ط1.

(2) الرد على المنطقيين: ص 282 - 283.

(3) كتاب «الإخاء الديني، ومجمع الأديان.. سياسة غير إسلامية» ص 3، محمد البهي.

(4) انظر: كتاب: «صحوة الرجل المريض» لموفق بني المرجه، ص 345.

للمزيد طالع كتاب «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» د. بكر بن عبدالله أبو زيد.

www.mugtama.com

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

نتمنى جميعاً حياة سعيدة وناجحة لأولادنا، وندعو لهم بالانتصار على المشكلات وانتزاع الخبرات، ونقدم للأهل هذا الدليل الواقعي الذي يرصد أهم الأخطاء، ويقدم النصائح العملية والمجربة لتقوية أولادنا ولحمايتهم من الانكسار النفسي وضياع حقوقهم وصنع عداوات لا مبرر لها، أو الانحناء أمام الأزمات والسماح لها -لا قدر الله- بالتأثير السلبي على اعتزازهم بأنفسهم والنيل منهم دينياً ودنيوياً.

دليلك لتعليم أولادك مواجهة مشكلاتهم

من أهم الأخطاء الشائعة وأخطرها المبالغة بحماية أولادنا وكأننا نقوم بوضعهم في صُوبات ونصنع عوازل تبعدهم عن رؤية أي شرور بالواقع، ونقدم لهم صوراً وردية لا وجود لها بالحياة عن الناس، وكيف أن الجميع يتمنون لنا الخير ولا يقصدون أي إساءة، ويفعل البعض ذلك حتى لا يصدم الأطفال خاصة، والمؤكد أن الواقع لن يرأف بهم، ولن يجنبهم المشكلات وعندئذ ستكون الخسائر أكبر.

وصدق القائل: الإنسان المفاجَأ نصف مهزوم، والأسوأ أنهم قد يعيشون كضحايا -لا قدر الله- ويجب تمهيدهم لمواجهة الحياة، وإفهامهم أنهم قد يصنعون بعض مشكلاتهم، وعليهم الاعتراف بذلك ليس لجلد الذات ولكن لتحمل المسؤولية.

نوصي بإخبار الطفل منذ بداية وعيه حقيقة أن الحياة بها خير وشر، وأن يكون ذلك بجرعات قليلة وعلى فترات؛ كما نعطيه التطعيمات ضد الأمراض، ونخبره أن الله عز وجل خلقنا ومنحنا القوة لمواجهة ما نكره بالدنيا، وأننا وحدنا من نضعف أنفسنا، وإذا ردوا: ولماذا نجد ما يزعجنا بالحياة؟ نرد بهدوء: لأننا بالدنيا ولسنا بالجنة، وعندما ننجح في تصرفاتنا سنفوز بحياة ممتعة وسعيدة بلا منغصات بالجنة.

يخطئ الأهل بمبالغتهم في رعاية الأطفال عندما يمرضون ويتعاملون معهم بجزع؛ فيزرعون داخلهم الخوف أو الشعور بالحاجة للرعاية، وأحياناً يقوم الطفل بتمثيل المرض أو ادعاء عدم الشفاء ليستمر بالحصول على الرعاية الزائدة.

ونوصي بالتفرقة بين الحنان والجزع؛ فالأول مطلوب ويفيد الطفل، والثاني مرفوض ويؤذيه، والصواب أن نخبره بأنه سيشفى قريباً بمشيئة الله تعالى، ونشجعه ليفعل ما يستطيعه من أنشطته اليومية -دون مبالغة- ونزرع داخله أنه دوماً يستطيع -بعد الاستعانة بالله- أن يصنع ما يفيده ويسعده، وأن يتعلم أيضاً من مرضه بأن يعيد تقسيم أوقاته ليعوض ما فاته من الدراسة بسبب مرضه، ويسعد بنعمة الصحة ويحافظ عليها، ويتجنب ما يمرضه قدر الاستطاعة، وألا يستسلم للحزن إذا مرض، ويشكر الله سبحانه على نعمة التداوي وامتلاك المال لذلك.

ولا يقال له هذا الكلام أثناء اشتداد المرض؛ فسيضايقه ولن يستوعبه، ولنؤجله حتى الشفاء.

www.mugtama.com

ننبه لأهمية تجنب الأهل لوم الأبناء عند تعرضهم لأي مشكلة صحية أو غيرها؛ فالابن عندئذ -أياً كان عمره- يكون غاضباً ومتألماً، ويفتش عن مخرج لأزمته، وآخر ما يريده هو اللوم؛ فليتماسك الأهل وليساعدوه -ما استطاعوا- أو ليخبروه بكلمات قليلة بأن الأمور ستسير على خير؛ فالإسراف بالكلام يصيب الابن عندئذ بالتوتر، ويفقده التركيز، وقد يدفعه ليحتد على الأهل.

لا تبالغ بالتعاطف أثناء مروره بأزمة؛ فيشعر بالرثاء لنفسه ويعطله عن البحث عن حل ويضعف ثقته بنفسه، ولا تتجاهله فيشعر بخذلانك له، ولا تتسرع بتقديم الحلول له، واطلب منه التفكير في حلول، واستمع إليه جيداً، وإذا لم تعجبك فلا تنتقده وقل: جيد أنك تحاول التفكير، واطرح الحل الذي تراه مناسباً، واذكر البدائل المتاحة أمامه، مع توضيح إيجابيات وسلبيات كل خيار، وتشجيعه على التعبير عن مخاوفه وعدم السخرية منه بسببها أو المبالغة بالتهوين منها.

علّمه الاعتدال عند الأزمات؛ فلا يبالغ بها وكأنها مسألة حياة أو موت أو كارثة لا يمكنه تحملها، ولا يتعامل معها بلا مبالاة وكأنها غير موجودة.

حاجز نفسي

إذا بكى الابن فلا تقل: أنت رجل لا تبكِ، ولا تسمح للبنات بالمبالغة بالبكاء عند المشكلات، ونبههن للفروق الهائلة بين الرقة والضعف.

ولا تبالغ؛ فتتعامل معه وكأنه لن يستطيع مواجهة مشكلاته، وراقب كيف يتصرف؛ هل يسارع بإخبار كل أصحابه بمشكلته؟ وهل يكتبها على وسائل التواصل الاجتماعي؟ وعندئذ يجب إخباره أنه يضاعف المشكلة ولا يحلها؛ فكلما قلَّ عدد من نخبرهم بمشكلاتنا كان أفضل؛ لمنع التشتت بالتفكير، وحتى لا يصبح حكاية تتناقلها الألسن، وليتعلم اختيار الجديرين بالثقة من المقربين، وليترك لنفسه الفرصة ليكبر ويعرف كيف يتعامل مع مشكلاته؛ ويمكنه نصح نفسه بالحل كما ينصح صديقه المقرب.

وأكِّد للابن الذي يبالغ بالاستقلال ويرفض إشراك أهله بمشكلاته، أن لجوءه للأهل يقوي شخصيته ولا يضعفها؛ فالجميع يرغبون بالبحث عمن يشاركهم التفكير

من أخطر الأخطاء المبالغة في حماية أولادنا وكأننا نضعهم في صُوبات ونصنع عوازل حولهم

يخطئ بعض الأهل في مبالغتهم برعاية الأطفال عندما يمرضون ويتعاملون معهم بجزع فيزرعون داخلهم الخوف

لا تبالغ بالتعاطف أثناء مروره بأزمة حتى لا يشعر بالرثاء لنفسه ويضعف ثقته بنفسه

أحياناً، ولا تقل: يحتاجون؛ فتثير حساسيته، ونوصي بإخبار الأولاد منذ سن صغيرة ببعض المشكلات التي يواجهها الأهل بالعمل وبالتعاملات المختلفة؛ لإكسابهم الخبرات بطريق غير مباشر، ولتشجيعهم على فعل المثل بسرد مشكلاتهم أيضاً.

لا تقل لابنك، مهما أخطأ: لو كان فلان بموقفك لما وقع بمشكلتك، حتى لو كنت تثق بذلك؛ فستضايقه، ولن تساعده، وستصنع حاجزاً نفسياً يحرمه الاستفادة من نصائحك؛ واهتم بتوضيح طرق عملية لمساعدته.

لا تقل لابنك: أنت تقع كثيراً بالمشكلات أو تصنعها أو تستحقها؛ فسيبدو وكأنه هجوم عليه وسبب للدفاع عن نفسه، ولن يصغي لنصائحك، ولو قال: المشكلات تحاصرني؛ رد: من يقع كثيراً أثناء السير فالسبب لأنه لا ينتبه للطريق؛ فتعلم التركيز ولا تكرر مشكلاتك واستفد منها، وعلّمه كتابة خبراته من المشكلات التي يتعرض لها، أياً كان نوعها، وأن يجمعها تحت عنوان «الانتصارات» في دفتر خاص، ليقرأها خاصة أثناء الأزمات؛ فيضاعف قوته الداخلية وثقته بنفسه، ولا ينساها ولا يكررها.

علّمه ألا يوقف حياته أثناء المشكلات، وأن يواصل الاهتمام بطعامه وبمظهره وبالحصول على قسط جيد من الراحة والنوم، ليساعده على مواجهة أفضل لها، ولا تسمح له بالعصبية أو بالحدة معك أو مع إخوته أثناء أزماته، وارفض ذلك بحزم، وأخبره أن ذلك ليس مقبولاً ولن يتحمله أحد، فلا ذنب لهم فيما تعانيه، وليس من الذكاء إضافة مشكلات جديدة لنفسه بسوء التعامل مع أهله أو أصحابه.

لا تقل له أبداً: ما دمت أنا بالحياة لا تحمل هموم مواجهة المشكلات؛ فسيصبح اعتمادياً، وسيشعر بالخذلان عندما تضيق بتكاسله عن تدبير أموره، وستضعف ثقته بنفسه؛ والأفضل أن تقول له: ثق أن الله سيكرمك وسيعينك متى لجأت إليه بصدق ولم تعجز، ثم بحثت عن أفضل الحلول ولم تتسرع وقمت بتنفيذ الحل بدقة وبلا تعجل للنتائج التي ترغب بها؛ وعلّمه الفرح بأي انفراجة، وألا يؤجل ذلك لانتهاء المشكلة، وأن يشكر الله تعالى دوماً.

لطف وحزم

علّمه أن تجاهل مواجهة المشكلات عند بدايتها سيجعلها أصعب، وسيبذل مجهوداً مضاعفاً مضطراً لمواجهتها؛ كتجاهل شرارة نيران على سجاد، فلن تنطفئ وحدها وستكبر بغفلة منه.

وتنبه، ولا تؤذِ ابنك بالحماية الزائدة، فبعض الأهل يخفون المشكلات الدراسية للأبناء كالرسوب بمادة أو الحصول على درجات ضعيفة حتى أمام إخوتهم منعاً للمضايقات، والأسوأ تبريرها؛ وهذا يضرهم ونرفض معايرتهم أمام إخوتهم أو أمام الناس، ونطالب بتذكيرهم بها حتى لا تتكرر وتصبح عادة.

لا تقل عندما يقع بنفس المشكلة: لا فائدة منك، ولا تتجاهل ذلك وكأن التكرار أمر طبيعي، ونبهه بلطف وبحزم.

وعندما يقع بمشكلة رغم تنبيهك له ليتجنبها، فلا تقل: ألم أقل لك، واهتم بتوضيح الضرر الذي وقع به وكيف يتخلص منه، فلا يتحول الأمر وكأنك تنتصر لرأيك السابق.

علّمه شكر الله سبحانه وتعالى بعد انتهاء المشكلة وألا يتحدث عنها؛ فيركز على الضرر الذي وقع عليه حتى لا يعتاد التحسر على النفس، وهو أسوأ ما يمكن فعله بنفسه، والأذكى أن يسارع بمحو الذكريات السيئة، ويدخر عمره وطاقاته لفعل ما يفيده دينياً ودنيوياً، ولا ينظر للماضي إلا للتعلم منه.■

أ.د. زيد بن محمد الرماني

مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الصورة الذهنية للنجاح

إن المرض الأول الذي يجب أن يتجنبه كل شاب قبل كل شيء، مرض الشعور بالنقص والإخفاق والفشل في الحياة، ومتى ظفر بهذا المرض، وأخرجه من حياته، كان من السهل على الطبيب معالجته.

إذ في وسع كل منا أن يتجنب الإخفاق، والخيبة، والشقاء، وأن يوجه دفة سفينته إلى النجاح، وإصابة الهدف، والسعادة، إذا ما غيّر الصورة الذهنية التي يكنها لنفسه.

هل سمع أحد بمحام يكسب قضية، أو لاعب يكسب مباراة، أو جرّاح يجري عملية ناجحة وهو يضع الفشل نُصب عينيه؟

لقد سمعنا وعرفنا أشخاصاً ليس لهم من مزايا سوى ثقتهم بأنفسهم واعتدادهم بها، ينجحون حيث أخفق من يفوقونهم خبرة ومعرفة.

وإذا نظرنا إلى هؤلاء الناجحين نتساءل في عجب: كيف تسنى لهم أن يبلغوا هذا النجاح؟ ونقارن بين ما وهبنا الله من صفات وميزات وما وهبهم، فندهش إذ نرى أننا ربما كنا أوفر منهم حظاً في الصفات والميزات المؤهلة للنجاح!

فما السر؟ أتراهم يتبعون وصفة سحرية تدنيهم من النجاح؟

لو نفذنا إلى عقولهم، لرأينا أن الوصفة السحرية التي تدنيهم من النجاح هي الصورة التي يحملونها في أذهانهم لأنفسهم، لقد تمثلوا أنفسهم رجالاً ناجحين!

أما أولئك الذين توافرت لهم مؤهلات النجاح ومع ذلك فقد أخفقوا، فالأغلب أن نفوسهم حافلة بالمخاوف والشكوك، وربما بالكراهية لأنفسهم، فهم لهذا عاجزون أن يتخيلوا أنفسهم رجالاً ناجحين.

والرجل الذي يقول: لا أبتغي من الحياة سوى عمل يكفل لي القوت ويؤمنني شر الجوع، إنما هو في الحقيقة يوقّع على نفسه عقاباً نتيجة إحساسات دفينة بالذنب لعلها غرست في نفسه منذ الطفولة.

وصاحب هذا الرأي لا يحقق في الحياة أكثر من الصورة التي رسمها لنفسه رغم ما قد يتصف به من ميزات ومواهب.

وثمة شخص آخر ينأى بنفسه عن النجاح، لأنه يهيم في أحلام اليقظة، إنه يتمنى النجاح ولكنه عاجز عن إصابته، إنه يتخيل نفسه في أحلامه رجلاً عظيماً، ولكن في دنيا الحقيقة يعجز عن التعبير عن نفسه والانطلاق على سجيته؟

جاء في كتاب «كيف تكسب الثروة والنجاح؟»: لو أن الإخفاق هو الذي تمثل للكتاب، والفنانين، والعلماء، فكم كان يصبح عدد الكتب التي كتبت، وعدد اللوحات الفنية التي أنتجت، وعدد الكشوف والمقترحات التي أنجزت؟

يجب أن نخلع من ذهن الإنسان صورة الفشل في الحياة، وأن نحل محلها صورة النجاح، فلو ظلت صورة الفشل مرتسمة في ذهنه وعقله لكان مصير كل النصائح التي نقدمها فشلاً وعبثاً.

ولكن نستطيع تبديل الصورة الذهنية التي رسمها المرء لنفسه التي أدت إلى فشله، علينا أن نساعده على تحديد هدفه وماذا يريد في حياته.

كثيرون يحلمون باليوم الذي يصبحون فيه من الناجحين، فإذا سألتهم: ما النجاح الذي يطلبونه؟ عجزوا عن وصفه، ومن ثم تتبدد طاقات نشاطهم، لأنهم لا يستهدفون شيئاً محدداً، وإذا فالخطوة الأولى هي تحديد الهدف، كأن تحدد ما تريده من عمل لنفسك.

هل تريد أن تكون طبيباً أم محامياً أم تاجراً أم موظفاً أم محاسباً أم صاحب عمل من الأعمال، أو صناعة من الصناعات.

اختر لنفسك صناعات وتأكد أولاً أنها ترضيك، فإذا تبينت هدفك واضحاً فامض فيه نشطاً معتزاً واثقاً أنك ستكون من الناجحين، فجميع الذين نجحوا في الحياة عرفوا ما يريدون، أول ما بدؤوا معركة الحياة.

ومن جعل هدفه نصب عينيه، وركز قواه في العمل لتحقيقه، واطمأن إلى أنه سوف ينجح، لن يفشل بإذن الله تعالى.■

www.mugtama.com

جمعية المنابر القرآنية
ALMANABR ALQURANIYA SOCIETY

وقف الم لخدمة القرآن الكريم

قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

صدقة جارية
وأجر لا ينقطع

سهمك الوقفي يصنع الكثير

• دعم أنشطة تعليم وحفظ وتلاوة القرآن الكريم • رعاية ودعم الحفاظ اليتامى والفقراء • توفير مصاحف التعليم للطلبة والحفاظ المكفوفين • كفالة ورعاية محفظ القرآن وإعانته على أداء رسالته • إعمار المساجد بالحلقات القرآنية • تدريب معلمي ومعلمات القرآن الكريم على أيدي كبار علماء القراءات.

شاركنا .. في الخير 11 666 971

almanabr.org | @almanabr

أو عن طريق الاستقطاع البنكي - بيت التمويل الكويتي

رقم حساب: 391010004473

رقم الآيبان: KW47KFHO0000000000391010004473

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الصدقة
أجر يبقى
التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي-نت
بيت التمويل الكويتي
01114001057 7
بنك الكويت الوطني
1000314577
94 06 40 61 (24 83 44 14